الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت

معهد اللغات والآداب

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي موسومة بـــ:

القصدية في ضوء لسانيات النص
دراسة تطبيقية من القرآن الكريم
الآية 44 من سورة هود أنموذجا

إعداد الطالبتين:

– نون خيرة

– قدوم الخالدية

إشراف الأستاذ:

قاسم قادة

السنة الجامعية:

2015م – 2016م

1436هـ – 1437هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

SAeeeD.com

كلمة شكر

نبدأ بحمد الله وشكره أن أعاننا ويسر لنا سبيل البحث.

ثم نشكر كل من ساعدنا في انجاز هذا البحث خاصة بالذكر:

الدكتور: قاسم قادة

الذي تفضل بالإشراف عليه وإحاطته بالعناية والاهتمام

فكان موجها ومشجعا ومصوبا.

فقد أعطانا من وقته وعلمه وفكره برحابة صدر

وجميل صبر فله جزيل الشكر والعرفان

على كل ما قدمه لإخراج هذا البحث

اهداء

أحمد الله عز وجل أن وفقني لهذا

أهدي هذا العمل إلى:

الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما

الاخوة الأحباء.

الأهل والأقارب

خيرة

اهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا

نبي بعده:

أهدي هذا العمل إلى:

الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما

الاخوة الأحباء.

الأهل والأقارب

الخالدية

وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ
ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤

مقدمة

اهتم العديد من الباحثين بالتراث اللغوي العربي، فمنهم من جمع المخطوطات وقام بتحقيقها، وشرح المادة وعلق عليها، ومنهم من انشغل بالبحث عن النصوص ودراستها وتحليلها ليكشف عن الجوانب المنيرة فيها، ونظرا للصعوبات التي تواجه الباحثين في الحديث عن كل ما يتعلق بالتراث اكتفى البعض بالشرح، ولكن منهم من تجاوز ذلك إلى النقد وابراز مزايا ذلك التراث ونقائصه.

ولأنه من غير القدرة بما كان تناول ذلك الكم الكبير من التراث اللغوي اقتصرنا على جزء يعكس طريقة تناول القدامى لموضوع القصدية خاصة في القرآن الكريم بناء على ما توصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة لمعرفة الجهد الذي بذله اللغويون العرب وقدرتهم في معالجة الظواهر اللغوية في زوايا متعددة، بغية كشف طريقة تناول اللغويون القدامى للظواهر اللغوية، فقد أقبل الباحثون على دراسة الظواهر لكشف حقيقتها، مما دفع الفكر الانساني إلى البحث عن أفضل الطرق التي تجعله يصل إلى هدفه بموضوعية، ومن هنا كانت الحاجة إلى بروز علم لغة النص.

لقد برهنت الدراسات اللسانية المعاصرة بناء على ما توصلت إليه أنها قائمة على مناهج علمية، ويتجلى ذلك بوضوح فيما قدمته تلك الدراسات، ولهذا عمل الباحثون العرب على تحديث آليات اللغة العربية والاهتمام بها لتواكب النظريات اللسانية المعاصرة وتتأقلم مع تطورات العصر.

سبب اختيار الموضوع

أشار علماء اللغة في العصر الحديث أن الموروث اللساني العربي فيه الكثير من القضايا اللغوية التي لم تعرفها اللسانيات الغربية إلا منذ سنوات، ورغبة منا في معرفة ما حاز عليه الموروث العربي في هذا المجال من قصب السبق أردنا معرفة الطريقة التي تناولت بها الدراسات الحديثة لموضوع القصدية وكيف كانت ملامحها في التراث العربي وسنحول الالمام بها بهدف إبراز قيمة الموروث اللغوي العربي، ذلك أن الدارس للسانيات الأجنبية الحديثة ليتفاجأ بهذه القضايا في الدراسات العربية القديمة، حيث أن هذه القضايا تحتاج إلى المزيد من التقصي والبحث.

وجاء اختيارنا لهذا الموضوع رغبة منا في ربط التراث العربي بالدراسات المعاصرة، ربما نساهم ولو بجزء بسيط في ربط هذا التراث بالتطور العلمي من جهة، ومسايرة النظريات المعاصرة من جهة اخرى، فللقصدية دور مهم في اتصاف النص بالنصية وتطرقت إليها بعض الدراسات، وأردنا تناولها بالنظر إليها من زاوية معاصرة – تراثية في نفس الوقت وجاء عنوان بحثنا **القصدية في ضوء لسانيات النص –دراسة تطبيقية من القرآن الكريم الآية 44 من سورة هود أنموذجا-**

طرح الإشكال

عرف حقل الدراسات اللغوية تطورا كبيرا خاصة في مجال اللسانيات من حيث الدراسة النصية، لدرجة شغل بها معظم الباحثين والمهتمين في هذا المجال، فأمام هذه التطورات ارتأينا أن نبحث في موضوع القصدية باعتباره واحدا من معايير النصية

ومحاولة توضيح الطريقة التي تناول بها المحدثون والتراثيون لهذا المعيار، ولذلك حولنا أن نجيب من خلال هذا الموضوع على بعض الاشكاليات والتي تتمثل فيما يلي:

- هل عرف العرب دراسة نصية كما عرفتها الدراسات الغربية الحديثة؟

- وهل عرفوا معايير النصية كما عرفتها هذه الدراسات نخص بالذكر معيار القصدية كضابط أساسي في نصية النص ؟

- وإلى أي مدى زرع العرب بذرات خفيفة لتأسيس الدرس اللساني النصي وما مصداقية طريقة تناولهم للظواهر اللغوية بالنسبة للدراسات الحديثة ؟

الخطة المتبعة

قسمنا بحثنا إلى مقدمة وعرضنا فيها لمحة عامة عن الموضوع، ثم أسباب اختياره، ثم طرح الاشكال وأتبعنا كل هذا بتوطئة وثلاثة فصول.

- الفصل الأول بعنوان لسانيات النص وقفنا فيه عند مفهوم لسانيات النص لغة واصطلاحا ثم نشأة لسانيات النص وبعدها أسباب ظهور لسانيات النص يليها دراسات في لسانيات النص وقد فصلنا فيها بين الدراسات العربية من ناحية والدراسات الغربية من ناحية أخرى وبعدها تحدثنا عن معايير لسانيات النص وفي الأخير تناولنا أحد هذه المعايير وهو معيار القصدية.
- الفصل الثاني: عنون بـــ لسانيات النص في التراث اللغوي العربي بدأناه بتمهيد ثم عرفنا النص من الجانبين اللغوي والاصطلاحي، وبعدها تناولنا ملامح لسانيات النص في التراث وفي الأخير تم التحدث عن معيار القصدية في التراث.

- الفصل الثالث: يتمحور هذا الفصل حول دراسة تطبيقية من القرآن الكريم الآية 44 من سورة هود أنموذجا، يتمحور حول قصدية الآية في ضوء لسانيات النص الحديثة، وكذلك ملامح معيار القصدية في الدراسات التراثية العربية.

المنهج المتبع

يتناسب مع هذا النوع من الدراسات المنهج التاريخي الوصفي، فالمنهج التاريخي اعتمدناه في معرفة ملامح الدراسات النصية العربية القديمة، وكذلك في معرفة الكيفية التي تناول بها الغربيون هذه الدراسات، واعتمدنا المنهج الوصفي في وصف الظواهر اللغوية في نظر كل من المحدثين والتراثيين.

الصعوبات

من البديهي أن يتعرض كل بحث إلى صعوبات، فالتي تعرضنا لها تتمثل في عدم القدرة على الحصول على بعض المراجع لنغني بها بحثنا، حيث تعذر الالمام بها كلها، اضافة إلى صعوبة مواكبة مختلف الأبحاث التي تندرج ضمن هذا الموضوع للاستشارة بآرائها ونتائجها.

وفي الأخير نأمل أن يكون بحثنا في المستوى، وجزيل الشكر والعرفان للأستاذ المشرف على رحابة صدره، وجميل صبره طيلة فترة انجازنا للبحث.

توطئة

توطئة

تعتبر اللغة الانسانية من الظواهر التي أحيط بها الاهتمام والعناية والدراسة من غابر الأزمان إلى يومنا هذا، وكان من البديهي أن تتطور مناهج البحث فيها نظرا للقصور الذي تعرفه المناهج التي تسبقها وذلك عبر فترات تاريخية متعاقبة، فتتولد عنها خطوة بعد خطوة مناهج أكثر نجاعة واحاطة بالظواهر اللغوية المدروسة، فالدراسات اللغوية التي سبقت علم اللغة النصي كانت تكتفي بدراسة الاعراب وقواعد الجملة، إلى أن أدرك اللغويون أن هناك الكثير من المبهمات التي تحيط باللغة سواء كانت منطوقة أو مكتوبة والتي لا يستطيع نحو الجملة تفسيرها «ومن ثم كان إعمال الفكر في علم اللغة النصي مجددا، وفي مجال البحث ومهام مثل هذا الفرع المعرفي، فيما نرى ضرورة ملحة»[1].

فنحو النص لم يبن على أنقاض نحو الجملة، وإنما تجاوزه بغية حل الكثير من الإشكاليات، و«ميزة (نحو النص) أو (لسانيات النص) أو (علم النص)، في أنه أفاد من نحو الجملة، مبنى ومعنى، ومن الدراسات الأسلوبية، ومن المناهج والمعارف السَّابقة ولكنه أضاف إلى تلك المناهج ما يثبت نصية النص وبلاغة الخطاب، من غير أن يقتصر على المناهج التي كانت تجزئ النص ثم تقف عند الأجزاء فقط، فكل ما ساعد على تصور النص كيانا لغويا متعدد المستويات، مكونا من أجزاء مترابطة، أو أنظمة متشابكة. فإنشاء. علم للنصوص هو المنهج الأنسب للخطاب المدروس، لأنه منهج

1- فولفجانغ هاينه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر. فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط115، 1999/ 1419، ص 07.

يستمد مادته وقوانينه ومفاهيمه من تشابك الأنظمة»[1]. فنحو النص ينظر إلى كل ما يحيط بالظاهرة اللغوية المدروسة.

ويعتبر النص القرآني من النصوص التي لاقت اهتماما في الدراسة النصية «ولكن صلة علم لغة النص بالدراسات اللسانية الحديثة لا يعني أنه ولد في كنفها حصرا؛ فهو – أولا وقبل كل شيء- علم الطبع والتذوق للعربية، لهذا فلا يقتصر على علم لغة النص في نسخته الأعجمية من أجل تحليل النص العربي البليغ؛ لأنه لا يقود بالضرورة إلى فهم أسرار النص إلا على وجه الاستئناس المنهجي دون العلم بكنه النص في أصله العربي المبين»[(2)]. فالمسلمين العرب وغير العرب القدامى كانوا أكثر دراية باللغة العربية وأكثرهم وعيا بدقائقها، لهذا فالتنقيب عن ملامح الدراسة النصية العربية القديمة من الأمور التي تثير الفضول في نفسية أي باحث عربي.

1- عبد الرحمان بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب، (نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم) 1434/2013، ص 11.

2- المرجع نفسه، ص 12.

الفصل الأول
لسانيات النص

- تمهيد
- مفهوم لسانيات النص
- مفهوم النص
- نشأة لسانيات النص
- أسباب ظهور لسانيات النص
- دراسات في لسانيات النص
- معايير لسانيات النص
- معيار القصدية

1- تمهيد

حظيت اللغة باهتمام المفكرين واللغويين والفلاسفة والبلاغيين وغيرهم منذ زمن بعيد، سواء أكانت اللغة منطوقة أو مكتوبة، ونتج بعـــد خطوات متتالية من البحث عن أنجع الطرق في دراستها (علم اللغة النصي) الذي ظهر في القرن العشرين وأصبح «فرع معرفي جديد تكوَّن بالتدريج في النصف الثاني من الستينات والنصف الأول من السبعينات، وبعد ذلك الوقت بدأ يزدهر ازدهارا عظيما»[1].

فبعد أن كانت دراسة اللسانيات تتصف بالعموم، تفرع عنها علم اللغة النصي «ومن هنا فلسانيات النص هو فرع من فروع اللسانيات، ويتعامل مع النص باعتباره نظاما للتواصل والإبلاغ السياقي»[2]. فالتواصل بين البشر لا يتحقق إلا عن طريق النصوص، لهذا فلسانيات النص تتجاوز في دراستها الجملة إلى ما هو أوسع منها والذي يجسده النص أو الخطاب.

1 – فولفجانغ هاينه من وديتر فيهجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر. فالح بن شبيب العجمي، ص04.

2 – جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، 2015، ط1، ص 17.

2- مفهوم لسانيات النص

إنَّ الدراسات اللسانية التي سبقت لسانيات النص كانت تهتم بالجملة، ونظرا لأنها أغفلت الكثير من الأمور المبهمة، كان من الضروري تجاوز لسانيات الجملة إلى اللسانيات النصية، التي لا تستطيع حل الكثير من الإشكاليات «إذ يلحظ انتقال الاهتمام من اللسانيات التي تهتم بالجملة إلى اللسانيات التي تهتم بالكلام بعدما فشلت القواعد التوليدية في تفسير وظائف اللغة عندما اهتمت بإبراز العلاقة بين اللغة والعقل(النحو العالمي والبنية العميقة)، وتعاملت مع النحو بوصفه عملية ميكانيكية تتحقق عناصره على نحو آلي عند اتباع القواعد التحويلية.

وهذا يعني أن القواعد التحويلية التوليدية أغفلت الاهتمام بذاكرة منتج الخطاب وظروفه النفسية والاجتماعية وما تمثله من أفكار ومقاصد. أضف إلى ذلك فشل القواعد اللغوية التي جاءت على شكل معادلات رياضية في تفسير الهدف الأسمى للغة وهو المعنى. وبعبارة أخرى، فقد فشلت القواعد التوليدية في إيجاد تفسير لوظائف اللغة حين جعلت اللغة مجرد نشاط عقلي»[1]. فاللغة إذا تؤثر فيها الكثير من الأمور، كالحالات النفسية والظروف الاجتماعية، ناهيك عن اتصالها الوثيق بالمعاني.

نجد بعض الكتب تستعمل مصطلح لسانيات النص، وبعضها الآخر يستعمل مصطلح لسانيات الخطاب «بيد أن هناك من يرادف بين النص والخطاب فيجمع بينهما في صيغة ترادفيه واحدة، فيقول(لسانيات النص أو لسانيات الخطاب)»[2]. غير أن هناك فوارق طفيفة بين مفهوم النص ومفهوم الخطاب،«إذا كان النص عبارة عن جمل متتابعة

1- يوسف سليمان عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها 1432/2011، مج7، ع1، ص 189.

2- جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، د ت، ط1، 2015، ص 09.

ومترابطة ومتماسكة لغويا ودلاليا. ومن ثم يتخذ طابعا مجردا معزولا عن سياقه التواصلي، فإن الخطاب عبارة عن ملفوظ شفوي أو مكتوب، مرتبط بأطراف التواصل وسياقه الوظيفي التداولي»[1]. فالفرق بين النَّص والخطاب يكمن في ارتباط الخطاب بعملية التواصل، فيدخل فيه المرسل والمتلقي والرسالة والقناة وغيرها في حين لا يرتبط النص بالسياق التواصلي.

وبالتالي فإن: «لسانيات النص هي التي تدرس النص وتحلل الخطاب، ولا تهتم بالجملة المنعزلة، بل تهتم بالنَّص باعتباره مجموعة من الجمل المترابطة ظاهريا وضمنيا»[2]. وكل ما كانت تتعرض له الجملة أثناء دراستها يتم إسقاطه على النص المدروس.

كذلك فلسانيات النص تهدف إلى وصف النصوص والخطابات نحويا ولسانيا في ضوء مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والتداولية والبلاغية، كما توصف الجمل حسب المدارس اللسانية؛ لأن النص جملة كبرى وما ينطبق على الجملة الصغرى ينطبق أيضا على الجملة الكبرى، وعلى هذا فلسانيات النص تدرس النص باعتباره عدد من الجمل والفقرات المترابطة شكلا ومضمونا.

وتدرس كذلك «ما يجعل النص متسقا ومنسجما ومترابطا، بالتركيز على الروابط التركيبية، والدلالية والسياقية، سواء أكانت صريحة أم ضمنية. ولا تكتفي لسانيات النص بما هو مكتوب فقط، بل تدرس حتى النصوص الشفوية والملفوظات النصية القولية»[3]. فهي تبحث عما يجعل النص مترابطا ومتناسقا لتحقيق وظيفة تواصلية معينة، سواء أكان النص مكتوبا أو منطوقا.

1- جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص 174.

2 - المرجع نفسه، ص 17.

3 - المرجع نفسه، ص 17.

3- مفهـــوم النص

أ-لغة:

لما كان هذا الفرع المعرفي الجديد (لسانيات النص) يعتبر غربي النشأة، فمن المستحسن أن نتطرق إلى تعريف النص وفق التراث اللغوي الغربي «فالأصل اللاتيني لكلمة نص textus ومعناه النسيج tissu ومنه تطلق كلمة textil على ما له علاقة بإنتاج النسيج بدءا بمرحلة تحضير المواد، وانتهاء بمرحلة النسيج النهائي وبيعه. من هنا كان النص عبارة عن نسج من الكلمات يترابط بعضها ببعض»[1].

نلاحظ من التعريف أنَّ أهم خاصية يتميز بها النص هي تلاحم أجزاءه وترابطها لهذا أخذت كلمة نص من معنى النسيج.

ب- اصطلاحا:

تتعد تعريفات النص وفقا لمناهج الباحثين، كما تتعد تعريفات الجملة، فمصطلح (النص) له معان تتفاوت بين ما هو عام وما هو خاص، فمن الباحثين من يعرفه تعريفا عاما ومنهم من يعرفه تعريفا خاصا، فقد ذهب 'هاليداي' «إلى أن النص هو اللغة التي تخدم غرضا وظيفيا أي هو اللغة التي تخدم غرضا في إطار سياق ما، وقد يكون النص منطوقا أو مكتوبا»[2]. ولكي يؤدي النص هذا الغرض الوظيفي لابد من أن يحمل دلالة ما، إذ يعتبر كل من 'هاليداي' و'رقية حسن' النص بأنه (وحدة دلالية)، وأهم خصائص هذه الوحدة هي الاكتمال، وأن طول النَّص أو قصره ليس شرطا في التشكيل اللغوي الذي يطلق عليه نص، وهذا يعكس أهمية الصلة التي تكون بين عناصره إذ «تشكل كل

1- محمد اسماعيل، التراكم العلماني،بين النص المكتوب النص المنطوق، مجلة المعرفة، سوريا 1994، ع 370، ص66.
2- يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1410، ط1، ص31.

متتالية من الجمل كما يذهب إلى ذلك 'هاليداي' و'رقية حسن'-نصا ، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة»[1]. فمن خصائص النص إضافة إلى تلاحم أجزائه هي حمله لدلالة ما.

وهذه الدلالة. «قد تتجسد في جملة واحدة، كمقولة 'امرئ القيس' (اليوم خمر، وغدا أمر)، ومن ثم يحدث تطابق بين حد النص وحد الجملة، وقد يتجسد في أقل من جملة كما هي الحال في التنبيهات والعناوين والإعلانات، التي تتكون –غالبا- من مجرد حرف وإسم مثل (للبيع) أو (لا للتدخين) [وقد يكون كتابا كاملا]، كما هي الحال –مثلا- في الرواية والمسرحية»[2]. فالدلالة بهذا المعنى قد تتحقق بكلمة أو بجملة أو بعدد من الجمل المترابطة، لكي تؤدي وظيفتها وهي التواصل؛ لأن النَّص يتكون «عبر التحام الجمل واتساقها نسيجا وانتظاما، وترابطها عضويا وموضوعيا. ومن ثمَّ، يلاحظ أنه عبر امتداد مساحة النص يتشكل ما يسمى بالفقرات والمقاطع والمتواليات، والتي تؤلف بدورها في الأخير ما يسمى بالنص، ووظيفته الأساسية والبارزة التواصل والإبلاغ والتداول»[3]. فهدف النص الأساسي هو تحقيق التواصل بين الناس وهذا ما نجده في تعريف 'ديبوغراند' بأنه «تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتصال»[4]. ومن هذا التعريف نستنتج أنه يمكن أن يتجسد النص في جملة واحدة أو في خطاب، حيث «يرى

1- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، 1991، ط1، ص13.

2 - جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ت ص68-69.

3- جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص18.

4- روبرت ديبوغراند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، مطبعة دار الكتاب، 1992/ 1413، ط1، ص09.

درسلر صلاحية الجملة لأن تكون نصا، بل إن من علماء اللغة النصي (سوينسكي درسلر، وبرنكلر) من يساوون بين النص والجملة. وإن من العلماء (مثل فانديك وكارل ديتر بونتج) من يسوي الخطاب بالنص. ومنهم من يجعله أضيق دلالة، ومنهم من يجعله أوسع دلالة»[1]. فالقاسم المشترك بين تعريفات النص هو كونه يعبر عن دلالة معينة كيفما كان الشكل الذي تجسد فيه، ولهذا «يرى 'برينكر' أن عناوين الصور والأمثال وما أشبه ذلك يمكن أن تعد نصوصا»[2]. فاللسانيين يرون أن النص هو كل ما يمكن أن يجسد ويحقق دلالة ما عبر عملية الاتصال.

4- نشأة لسانيات النّص

عرفت الدراسات اللغوية قبل زمن بعيد اهتمامات نصية؛ أي أنها جعلت النص من بين اهتماماتها ولم تكتف بوصف الجملة بل أخذت بعين الاعتبار وصف النصوص والإسهامات الأولى في توسيع نحو الجملة «قواعد تحول العبارات بمفهوم قواعد ما فوق الجملة) توجد منذ وقت طويل قبل نشأة الحقل الخاص بعلم اللغة النصي»[3].

ووجدت محاولات عديدة تشرح النصوص وتحيطها من كل الجوانب وبمختلف العلوم «ويرجع اتجاه تراثي مهم في علم اللغة النصي إلى البلاغة الكلاسيكية (فن الخطابة عموما)»[4]. وليست البلاغة وحدها كانت مهتمة بوصف النصوص بل «ينطبق هذا أيضا على علم الأسلوب فقد تطور في القرن التاسع عشر إلى فرع معرفي مستقل»[5]. فالدراسة

1 - يوسف سليمان عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، ص192.
2 - المرجع نفسه، ص192.
3 - فولفانغ هاينه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص18.
4 - المرجع نفسه، ص14.
5 - المرجع نفسه، ص16.

البلاغية والأسلـــوبية سلطتا الضوء على النصوص واهتمتا بوصفها ودراستها. «على أن لعلم الأسلوب من الوجهة العلمية التـــاريخية –كالبلاغة- دور المبـــشر بعلم اللغة النصي، فالدراسة الأسلوبية معنية على وجه الخصوص بوصف كليـــات النص»[1].

ولكن من العلماء من يرى أن الظهور الحقيقي للسانيات النص كان في بداية القرن العشرين و«مما لا خلاف فيه بين علماء لسانيات النص أن الانطلاقة الحقيقية في دراسة اللسانيات النصية تبدأ بأعمال 'زليغ هاريس' مع بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، فقد قدم 'هاريس' منهجا لتحليل الخطاب المتماسك بنوعيه الملفوظ والمكتوب تحت عنوان (تحليل الخطاب)، استخدم فيه أسلوب اللسانيات النصية وذلك في عام (1952)، إذ اعتمد منهجه على ركيزتين في تحليل الخطاب: العلاقات التوزيعية بين الجمل والربط بين اللغة والموقف الاجتماعي»[2]. فأعـــمال 'هاريس' نبهت بعض اللسانيين إلى ضرورة تخطي الدراسة اللغوي مستوى الجملة إلى مستوى النص، والربط بين اللغة والموقف الاجتماعي. «مشكلين بذلك اتجاها جديدا، أخذت ملامحه ومناهجه واجراءاته في التبلور منذ منتصف الستينات تقريبا، وهذا الاتجاه عرف-أكثر ما عرف– بلسانيات النص واللسانيات النصية ونحو النص، وهو نحو يتخذ النص كله وحدة للتحليل، وليست الجملة كما كانت الحال في الأنحاء السّـــابقة عليه، والتي عرفت بنحو الجـــملة»[3]. وهذا ما شغل اهتمام الكثير من اللسانيين حيث رأوا أهمية تجاوز دراسة الجمل إلى ما هو أوسع منها، ولا يتحقق هذا إلا بالدراسة النصية، وربط اللغة بالموقف الاجتماعي، إلا أنه من اللسانيين من يرى غير ذلك، حيث لا يربط الظهور الحقيقي لعلم

1 – فولفانغ هاينه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص17.

2 – يوسف سليمان عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، ص189.

3- جميل عبد المجيد، البديع بين الغة العربية واللسانيات النصية، ص 66.

لغة النص بأعمال 'زيلغ هاريس'، إذ «على الرغم من الجانب التاريخي لهذا العلم كان موضع خلاف بين المنظرين، إلا أن أغلبهم يرى أن ظهوره الفعلي كان في بداية السبعينات، لأنه قبل هذا التاريخ كان متداخلا مع علوم يصعب وضع ملامح عامة له في خضمها، لكن إن اعتبر الكثيرون أن تأسيسه نابع من التعريف الذي جاء به 'هاريس' للخطاب سنة 1952 فالحقيقة غير ذلك»[1]. وربما يرجع سبب هذا التصور إلى الأسس التي عرفتها فترة الثمانينات حيث «تطورت لسانيات النص في السبعينات من القرن العشرين على أيدي علماء كبار مثل فان ديك ودي بوجراند اللذين وضعا الأسس العامة لنظرية نحو النص الحديث في الثمانينات من القرن العشرين، وبذلك يمكن القول بأن الدراسات النصية قد تطورت كثيرا»[2]. فهذا التطور المنهجي كان بمثابة ثمرة جهد الباحثين اللسانيين عبر فترات زمنية متعاقبة نتيجة الخطوات التي اتبعوها في تناول القضايا اللغوية.

5- أسباب ظهور لسانيات النص

اهتمت اللسانيات الحديثة بالنص اهتماما بالغا بعد التطور الذي شهدته المناهج الحديثة وطريقة التناول، إذ لم يعد الاهتمام مقتصر على الجمل التي تتسم دراستها بالمحدودية، عكس الدراسة النصية التي تجعل المجال أكثر اتساعا، وأصبح تجاوز ما هو منغلق إلى المنفتح منهجا في التحليل عند اللسانيين المحدثين؛ «لأن منهج صناعة الإعراب وحده قاصر عن التحقيق، ولا يلزمون منهج التحليل بالجمل لأن الجمل كيان لغوي

1- أم السعد حياة، حصور بعض مقولات لسانيات النص في السند النظري الباختيني، مجلة الأثر، جامعة الجزائر2(الجزائر) 2012، ع، 13، ص145.

2- يوسف سليمان عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص،ص.189.

محدود»[1]. فالجمل عاجزة عن كشف الكثير من الأمور التي يرغب الباحث في معرفتها «وذهب 'رايزر' إلى القول بأن نحو النص يبدأ في اللحظة التي يفشل فيها نحو الجملة عن الإجابة على المسائل اللغوية... وزكز على ما ذهب إليه بيتوفي (petofi) من أسباب تدعو إلى ضرورة ظهور علم النص ويجملها فيما يلي:

-لا يستطيع نحو الجملة أن يقدم تعليلا واضحا لقوانين التناسق في الجمل والمسائل التي تتعلق بالقضايا وجواباتها.

- عدم القدرة على الإجابة على سائر القضايا اللغوية من خلال الاتجاه الوصفي الذي تسير عليه الألسنية الحديثة .

- لابد أن يفرق النحو بين العناصر التي تتعلق بالمتحدث وتلك التي تتعلق بالمستقبل»[2].

فنحو الجملة بهذا الاعتبار غير قادر على كشف علاقات الجمل ببعضها، ولا يستطيع أن يميز ما هو متعلق بالمتحدث وما هو متعلق بالمستقبل وغيرها.

وهناك عوامل عديدة أخرى كان لها الأثر في ظهور منهج الدراسة النصية «وتأتي في المرتبة الأولى الحاجات والرغبات الاجتماعية التي دعت العلماء إلى التساؤل أيضا عن تحديد جديد لدور علم اللغة في المجتمع...قضايا علاج أمراض الكلام وبشكل خاص امكانات التأثير المتعددة باللغة في الاتصال اليومي»[3]. فقد عرفت اللسانيات النصية تقدما منهجيا، وجعلت الباحثين يكشفون أمورا ما كان بوسعهم أن يعرفوها بنحو الجملة.

1- عبد الرحمان بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب(نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم)، 2013م/1434هـ، ص 14.

2- يوسف نور عوص، علم النص ونظرية الترجمة، ص 25.

3- فو لغجانغ هاينه ،ن وديترفينهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي،ص.19.

ومن الأمور التي عجز(نحو الجملة) عن دراستها وتداركها (نحو النص) هي العلاقات التي تربط بين أجزاء النص، وهي علاقات لا يمكن في أي حال من الأحوال اهمالها لما لها من أهمية في إبراز معنى النص، (فنحو النص) يمكن من تشخيص علاقات ينظر إليها في (نحو الجملة) وهي علاقات فيما وراء الجملة: بين الجمل والفقرات والنص بتمامه، وذلك على المستوى المعجمي والمستوى النحوي (الصوت والصرف والتركيب) والمستوى الدلالي. فلسانيات النص تكشف عن الكثير من الأسرار وخبايا النص التي يعجز نحو الجملة عن معرفتها وحلها[1]. فهذا الاتجاه (نحو النص) يميل إلى التحليل النصي عوضا عن الجملة والعبارة، كما يهتم بالبحث عن الأسرار التي تغطي الظواهر اللغوية ليكشفها، فقد عرفت اللسانيات النصية تقدما منهجيا، وجعلت الباحثين يكتشفون أمورا ما كان بوسعهم أن يعرفوها بنحو الجملة.

كذلك هناك جانب أهمله (نحو الجملة)، وهو السياق الاجتماعي، فهو ذو أهمية بالغة في الدراسات النصية، فاللغة ليست مجرد جمل بل هي «عبارة عن وسيلة اتصال يستفيد منها أفراد المجتمع للتوصل إلى أهداف وغايات»[2]. فأهمية الجانب الاجتماعي في الدراسة النصية خلصتها من التحليل الضيق، إذ لابـــد من رؤية كل جوانب النص منها الجانب الاجتماعي؛ لأننا «في الحقيقة لا نتواصل بجمل ولكن بنصوص، وهو الأساس المنهجي الذي انطلقت منه لسانيات النص لاكتشاف بنية هذا النسيج المميز الذي لا تخلوا منه حياة الفرد برمتها، إذ يشكل جزءا هاما من واقعه»[3]. فالتواصل بين البشر لا يكون في شكل كلمات أو جمل مفردة بل بنصوص ذات معان، ودلالات كي

1- ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية(أصولها وامتدادها)، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب 1999، ط1، ص 13.
2- يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، الكويت،1889، مج، 20، ع، 3، ص 71.
3- أم السعد حياة، حصور بعض مقولات لسانيات النص في المسند النظري الباختيني، مجلة الأثر، ص145.

تحقق الهدف من ورائها، وبما أنه تشترك أطراف عديدة في التواصل، فمن الطبيعي أن تتعدد مواقف وآراء الأشخاص أثناء هذا الحدث اللغوي وتتغير حسب المقامات لهذا فإن «دراسة النصوص هي دراسة للمادة الطبيعية، التي توصلنا إلى فهم أمثل لظاهرة اللغة لأن الناس لا تنطق حين تنطق، ولا تكتب حين تكتب- جملا أو تتابعا من الجمل- ولكنها تعبر في الموقف اللغوي الحي من خلال حوار معقد متعدد الأطراف مع الآخرين ويكثر في هذا الحال تصادم الاستراتيجيات والمصالح وتعقد المقامات»[1]. فاللغة المستعملة عن طريق التواصل بين الناس (ملفوظة كانت أم مكتوبة) ليست مجرد أشكال جافة خالية من المعاني، بل هي تعبر عما يختلج الناس من أفكار وعوطف «ومثل ذلك نراه في حدث الكتابة حين تتعقد العلاقات بين مكونات الصياغة اللغوية وترتد اعجازها عن صدورها، وتتشابك العلاقات في نسيج معقد بين الشكل والمضمون على نحو يصبح فيه رد الأمر كله إلى الجمل أو نماذج الجمل تجاهلا للظاهرة المدروسة، وردا لها بساطة مصطنعة تخل بجوهرها وتقضي إلى عزل السياقات المقالية والمقامية والأطر الثقافية واعتبارها أمرا قائما خارج النحو وطارئا عليه»[2]. فالنصوص المكتوبة تعكس ظواهر عديدة، وهي تبرز علاقات عناصر النص ببعضها البعض؛ أي علاقة الشكل بالمضمون وربطها بالسياق المقامي، فلا يمكن في أي حال من الأحوال معرفتها واكتشافها بنحو الجملة، فهذه العلاقات تبين دلالة النصوص المدروسة، «كما أن كثيرا من الدراسات اللغوية الدائرة في فلك نحو الجملة أهملت الجانب الدلالي، و لم تعن به عناية كافية»[3].

1- جميل عبد المجيد، البديع بين اللغة العربية واللسانيات النصية، ص 67.

2- المرجع نفسه، ص 67-68.

3 - المرجع نفسه، ص 66.

فنحو الجملة يعجز عن توضيح وتبيان الدلالات من وراء الجمل في بعض الأحيان، فاعتبار أن النص قد يتجسد في جملة واحدة، وقد يتجسد في عدد منها.

ومن أسباب ظهور علم اللغة النصي هي أنواع النصوص وأشكالها المختلفة حيث يكشف« 'ديبوغراند' و 'درسلر' عن مهمة لا يستطيع نحو الجملة تأديتها، وهي التمييز بين أنماط النصوص، حيث منها ما هو إخباري، وما هو علمي، وما هو قصيدة وغير ذلك»[1]. وهذا من مهام نحو النص، ومن ثم كان إهمال الفكر في علم اللغة النصي أمرا هاما، ومهام هذا الفرع المعرفي الجديد ضرورة حتمية، ففي منظور اللغوي الألماني 'رووك' أن لسانيات النص قد أخذت مكانة هامة في السنوات الأخيرة، التي كان وجودها هاما في المدارس اللغوية، التي كانت تكتفي بوصف الجمل معتبرة إياها الحد الأكبر في التحليل، فاتخذت النص أساسا لها في الدراسة[2].

فالتحول من نحو الجملة إلى نحو النص ليس مجرد تحولا في حجم التشكيل اللغوي ولكن هو تحول في المنهج وطريقة التناول والدراسة والأهداف المتوخاة منه، فالفهم الجيد للظاهرة يستلزم دراستها دراسة نصية، وهذا ما أدى بالضرورة إلى ظهور علم اللغة النصي أو لسانيات النص، ومع ذلك «لا يسوغ أن تنفصم العلاقة بين علم اللغة النصي وعلم اللغة الجملي، كما لا يسوغ أن يتداخل العلمان (بمعنى أن يشتمل أحدهما على الآخر). نحن ننطلق أكثر من ذلك من كون العلاقة تكاملية بين علم اللغة النصي وعلم اللغة الجملي، حيث ينظر إلى دراسات علم اللغة الجملي على أنها تمهيد ضروري

1 – جميل عبد المجيد، البديع بين اللغة العربية واللسانيات النصية، ص 68.

2 – ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000، ط2، ص167.

لأبحاث علم اللغة النصي»[1]. فتوسيع مجال الدراسة لا يعني عزل باقي الوحدات اللغوية كالفونيمات والمورفيمات والجمل والاكتفاء بدراسة النصوص، بل دراسة مثل هذه الوحدات تعتبر كخطوة أولى سابقة للدراسة النصية.

6- دراسات في لسانيات النص

هناك عدة دراسات تناولت موضوع لسانيات النص، سواء تعلق الأمر بالغربية منها أو العربية، القديمة أو الحديثة.

أ-**الدراسات الغربية** : هناك العديد من الدراسات التي اهتمت بهذا الفرع الغربي الجديد (لسانيات النص) وتحدثت عنه فلابد من التوقف عند هاريس (Haris) في كتابه (تحليل الخطاب) ، وفان ديك (Van Dijk) في كتابه (النص والسياق) وهاليداي (Halliday) وحسن رقية (Hassan) في كتابيهما (الاتساق في الإنجليزية)، و(اللغة، السياق والنص) ودوبيوجراند (De Beaugrande) وفولفغانغ دريسلر (Dressler Wolfang Ulrick) في كتابهما (مدخل إلى لسانيات النص)، وبراون وجورج يول في كتابهما (تحليل الخطاب)، وويرليخ (Werlick) في كتابه (في نحو النص الإنجليزي) وروجر فاور (Rojer Foroler) في كتابه (لغة الأخبار: الخطاب والإيديولوجية في الصحافة)، وحاتم باسل وإيان ماسون (Hatim Basil Ian Mason) في كتابهما المشترك (الخطاب والترجمة) ، والعمري في كتابه (لسانيات النص لطلبة الترجمة) وكافجيك (Kafcic) في كتابه (لسانيات النص) وبول كران (A crane) في كتابه (نسيج النص) وإيجينس (Egginc) في كتابه (مقدمة إلى النظام اللساني الوظيفي)، ومدينا بيتريز

1- - فولفجانغ هاينه، من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص82

لوبيز Medina Beatriz L'opez في كتابه (دور لسانيات النص في اقسام اللغات الاجنبية) وجان ميشيل أدم (Adam .J.M) في كتبه العديدة: (اللسانيات والخطاب الأدبي) و(تحليل اللسانيات النصية) و(عناصر اللسانيات النصية) ودولاس و فيليولي (Delas.D et Filiolet) في كتابهما (اللسانيات والشعرية) ومانجونو (Mainguenau) في كتابها (عناصر لسانيات النص الأدبي)[1].

ب- الدراسات العربية: كذلك هناك مجموعة من الدراسات العربية تندرج تحت فرع لسانيات النص « منها :كتاب (لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب) لمحمد خطابي؛ و(نسيج النص) للأزهر الزناد؛ و(دراسات تطبيقية في لسانيات النص) لثناء سالم؛ وعبد القادر شرشار في كتابه (تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص)؛ وكتاب (دينامية النص) لمحمد مفتاح و(لسانيات النص نحو منهج لتحليل الشعر) لأحمد مداس؛ والكتاب الجماعي (لسانيات النص وتحليل الخطاب) لمحمد خطابي وآخرين، و(كتاب المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب) لنعمان بوقرة؛ وكتاب (بلاغة الخطاب وعلم النص) لصلاح فضل؛ وكتاب (لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة) لعبد الفتاح أحمد يوسف وكتاب (في لسانيات النص) لأيمن محمود موسى، وكتاب (مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه) لمحمد الأخضر الصبيحي، و(نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي) لأحمد عفيفي، وغيرها من الدراســـات الأخرى هنا وهناك».[2]

1- جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص 45-46.

2 - المرجع نفسه، ص 47- 48 -49 .

7- معايير لسانيات النص

تختلف تصورات الباحثين الألسنيين في مجال نحو النص (لسانيات النص) كل حسب منهجه وطريقته في تناول مجمل القضايا اللغوية، ورؤيته للشروط التي تتحقق بها صفة النصية في النص المدروس إذ «تعتمد نصية النص عند 'بوجراند' و'درسلر' على سبعة معايير، لا بد من توافر قدر منها، لكي تتحقق له صفة النصية، وهي كما ذكراها على النحو التالي1- السبك،2- الحبك ،3 - المقصديه،4- المقبولية 5-الاخبارية، 6- الموقفية، 7- التناص».[1] إذ لابد من صفات يتميز بها النص لكي يعتبر نصا تتجسد فيه النصية وهذه الصفات عبارة عن معايير يعتمد عليها الباحث المحلل أثناء دراسته، في حين أن بعض الباحثين لا يشترطون توافرها جميعا في النص ليعترف بنصّيته، إذ يمكن ان تكون أقل من سبعة معايير و«يرون أن نصية النص تتحقق بأقل قدر من هذه المعايير، أما إذا تحققت المعايير السبعة، فيكون النص كلا متكاملا».[2] فاكتمال النص يتحقق بوجود المعايير كلها، ولكن هذا لا يعني أن أقل عدد منها لا يحقق صفة النصية.

قبل أن نتطرق إلى تعريف المعايير السبعة، يجب أن نشير بأنه وجدت تسميات عديدة لها وفق الكتب العربية المترجمة، فالسبك أقرب من ترجمة (التماسك- التظام- الربط النحوي- الاتساق)، أما الحبك فيقابله في بعض الترجمات العربية مصطلحي (الانسجام أو التقارن) في حين ان القصدية نجدها في بعض الكتب بمصطلح (المقصدية)اما الاعلامية فهي تعبر عن مصطلح (الاخبارية)، ونجد النصوصية بمصطلح (التناص).

1- أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الأداب، القاهرة،2008 ص 75-76

2- المرجع نفسه، ص 75.

ويعرف 'روبارت ديبو غراند' وآخرين المعايير كالتالي:

«– **التظام**: وهو يشتمل على الاجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص كبناء العبارات والجمل واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة.

– **التقارن**: وهو يشتمل على الاجراءات المستعملة في إثارة عناصر المعرفة من مفاهيم وعلاقات، منها علاقات منطقية كالسببية، ومنها معرفة كيفية تنظيم الحوادث، ومنها أيضا محاولة توفي الاستمرارية في الخبرة البشرية.

– **القصدية**: أي قصدية المنتج توفير التظام والتقارن في النص وأن يكون أداة لخطة موجة إلى هدف.

–**التقبلية**: أي تقبلية المستقبل للنص باعتباره متضاما متقارنا ذا نفع للمستقبل أو ذا صلة به.

– **الموقفية**: وهي تشمل على العوامل التي تجعل النص ذا صلة بموقف حالي، أو بموقف قابل للاسترجاع.

– **الاعلامية**: وهي تشمل على عامل الجدية (اللايقين النسبي) لوقائع النص بالمقارنة مع الوقائع الأخرى محتملة الحدوث.

– **النصوصية**: وهي تتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى ذات صلة ثم التعرف إليها في خبرة سابقة».[1]

معايير النصية هي عبارة عن ضوابط «ويمكن القول أن هذه الضوابط تعود إلى ثلاثة أقسام رئيسية، هي:

– ما يتصل بالنص نفسه، وهما ضابطا التماسك والانسجام.

1– روبارت ديبوغرند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، ص11–12.

- ما يتصل بمستعمل النص، متكلما كان أو مستمعا، وهما ضابطا القصدية والمقبولية.

- مايتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص، وهي ضوابط الإخبارية والمقامية والتناص...أهم الضوابط أربعة، هي: التماسك والانسجام والقصدية والمقامية».[1] فهذه الضوابط الأربعة لابد من توافرها في أي نص ليأخذ صفة النصية.

8- القصديـــة

عندما نقرأ أو نسمع أمرا ينتابنا شغف كبير من معرفة ما يعنيه الكاتب أو المتحدث وما يقصده؛ أي ماذا يريد أن يوصله إلينا وما الهدف من وراء ما يكتب أو يقول، أما عند الدارسين فتسمى دراسة المعنى الذي يريد أن يحققه الكاتب أو المتحدث (بالقصدية)، وهي الهدف الذي يصبوا إليه منشئ النص مكتوبا كان أو منطوقا، وهي إلى حد كبير «دراسة المعنى غير المرئي أو كيفية التعرف على المقصود، وإن لم يقل أو يكتب ذلك المعنى مقصودا فعلا».[2] فمنشئ النص لا يصرح بهدفه أو مقصوده مباشرة وإنما يكون منعكسا من مجموع الألفاظ المتلاحمة والتي تشكل من وراء تلاحمها هذا معنى عاما ودلالة تعبر عن المرامي التي يريد الكاتب أو المتحدث تحقيقها.

وهناك الكثير من اللغويين الغربيين الذين اهتموا بقصد المتحدث في الخطاب منهم 'بيوجراند و درسلر'، حيث جعلا «دور المقصدية مرتبطا بموقف منتج النص الذي يريد أن ينشئ نصا متماسكا يهدف منتجه إلى نشر معرفة أو تحقيق هدف محدد

1- يوسف سليمان عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، ص 194.

2- طالب عبد الرحمن، دراسات حديثة في اللغة والنحو وأثر الترجمة في العربية، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء الجمهورية اليمنية، 2005/ 1426، ط1، ص 129-130

في مخطط ما»[1].فالقصدية تتعلق بمنشئ النص الذي يريد من ورائه تحقيق غاية معينة، ولا يكون هذا إلا إذا كانت عناصر ذلك النص متماسكة؛ لأن موضوع القصدية هو «اتجاه منتج النص إلى ان تؤلف مجموعة الوقائع نصا متضاما متقارنا ذا نفع عملي في تحقيق مقاصده، أي في نشر معرفة أو بلوغ هدف يتعين من خلال خطة ما»[2]. فوجود التظام والتقارن في النص ضروري لابراز معناه وتوضيح قصد منشئه، وهما المعيارين الأكثر بروزا وأهمية في النص، وهما يعبران عن تلاحم العناصر ظاهريا وباطنيا، حيث «يعد التضام في ظاهر النص والتقـــارن في باطنه أكثر معيارين وضوحا في معايير النصية، وهما يبينان كيفية تألف العناصر المكونة للنص وإفـــادتها معنى، غير انهما يعجزان عن تزويدنا بحدود فصل مطلقة تميـــز بين النصوص وغير النصوص في الإتصـــال الواقعي»[3].

فوجود كل من معياري التضام والتقارن غير كاف في أية تشكيلة لغوية تعبر عن دلالتها من دون معيار القصدية، فهذا الأخير يعبر عن هدف منشئ النص ولولاه ما كان للنص أن يتصف بالنصية، و« لا غنى لأية تشكيلة لغوية يراد استغلالها في التفاعل الإتصالي، عن توافر القصد بأن تكون نصـــا وعن قبولها بهذا الاعتبار».[4] لأن القصـــدية هي الهدف من البناء النصي، وهذا الأخير بمثابة الوعـــاء الذي يحمـــل أغراض منشئ النص، إذ «تشير القصدية، بالمعنى الأوسع بهذا المصطلح، إلى جميع الطـــرق التي يتخذها منتجـــو النصوص في استغـــلال النصوص من أجل متابعة

1- يوسف سليمان عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، ص 206.
2- روبرت ديبوغراند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، ص30.
3- يوسف سليمان علبان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، ص 206
4- روبارت ديبوغراند وآخرون ، مدخل إلى علم لغة النص ، ص30

مقاصـــدهم وتحقيقهـــا»[1].فأهم الوسائل التي يتخذها المرء للتعبير عن مقاصده هي النصوص ويسعى جاهدا لأن يجعل نصه متضاما متقارنا لتحقيق غرضه «ويرى علماء النص أن هذا المعيار يقع ضمن المعايير الأربعة الأساسية لتحقق النصية، وهو اعتقاد المنشئ أن سلسلة الأحداث القولية التي ينتجها يمكن أن تشكل نصا مســبوكا... يكون أداة لتحقيــق مقاصد المنشئ، كأن ينقل معرفة أو يحقق هدفا جرى توصيفه في إطار خطة موضــوعة»[2]. فتحقيق الغرض سواء في نقل معرفة أو التعبير عن الآراء أو غيرهما لا يكون إلا من خلال سلسلة من الأحداث القولية التي ينسجها المخاطب والتي يجب أن تتجسد فيها المعايير الأربعة الضرورية وهي التظام، التقارن، القصدية والتقبلية.

يرى الباحثان 'هاليداي' ورقية حسن أن أدوات الاتساق خمسة أولها:

«-**الإحالة:** يستعمل الباحثان مصطلح الإحالة استعمالا خاصا، وهو أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين: الضمائر وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة.تعتبر الإحالة علاقة دلالية، ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه.

-الإستبدال: يعد الاستبدال، شأنه في ذلك شأن الإحالة، علاقة اتساق، إلا أنه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى النحوي-المعجمي بين كلمات أو عبارات، بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي. ويعتبر الاستبدال، من جهة أخرى، وسيلة

1- روبارت ديبوغراند وآخرون ، مدخل إلى علم لغة النص ، ص152.

2 - أشرف عبد البديع، عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، ص 157.

أساسية تعتمد في اتساق النص، يستخلص من كونه(عملية داخل النص)، إنه نصي، على أن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية، أي علاقة بين عنصر متأخر وبين عنصر متقدم وبناء عليه يعد الاستبدال مصدرا أساسيا من مصادر اتساق النصوص.

-**الحذف**: علاقة الحذف لا تخلف أثرا، ولهذا فإن المستبدل يبقى مؤشرا يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلفه الاستبدال بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف، إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء. ومن ثم نجد في الجملة الثانية فراغا بنيويا يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادا على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق.

-**الوصل**: هو مختلف عن كل أنواع علاقات الاتساق السابقة، وذلك لأنه لا يتضمن إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدم أو ما سيلحق، كما هو شأن الإحالة والاستبدال والحذف، فما هو المقصود بعلاقة الوصل إذن؟»[1].يضيف 'محمد خطابي ' «إنه تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم»[2]، أما آخر أدوات الاتساق فهو:

- **الاتساق المعجمي**: ينقسم الاتساق المعجمي في نظر الباحثين إلى نوعين:

أ-التكرير Réitération

ب-التضام Collocation

1- محمد خطابي، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 17-22.

2- نقلا عن: محمد خطابي، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 23.

والتكرير هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما...ويقصد المؤلفان بالأسماء العامة مجموعة صغيرة من الأسماء لها إحالة معممة مثل:(اسم الإنسان)، (اسم المكان)، (اسم الواقع) وما شابهها (الناس، الشخص، الرجل، المرأة، الطفل، الولد، البنت...)...

والنوع الثاني هو التضام وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك...هذه هي وسائل الاتساق التي تعتمدها النصوص في تماسكها جملة فجملة، مقطعا فمقطعا، في نظر الباحثين 'هاليداي ورقية حسن'، وهي كما نلاحظ ذلك، وسائل موجودة في النص، مما يترتب عنه أن الباحثين لا يعتبران دور القارئ في صنع اتساق النص، ما دام هذا النص متسقا في ذاته يحتاج فقط إلى أن يجعل اتساقه واضحا مبينا»[1].

فالقارئ يدرك العلاقة الدلالية بين عناصر أي نص بواسطة وسائل الاتساق، فهذه الأخيرة تساعده في ربط المعاني المتتابعة، وبطريقة آلية يعرف الدلالة العامة للنّص.

1-محمد خطابي، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 25.

الفصل الثاني

لسانيات النص في التراث اللغوي العربي

- تمهيد
- تعريف النص
- ملامح لسانيات النص في التراث
- القصدية في التراث

1-تمهيد

من المعروف أن الدراسات اللغوية العربية القديمة قد تطرقت إلى الكثير من القضايا بالتحليل والوصف، إجمالا وتفصيلا، وكانت جهود اللغويين العرب القدامى جبارة «وارتبطت تلك الجهود ببزوغ شمس الاسلام في بلاد العرب، وكان ظهور القرآن الكريم سببا في نشأة علوم جديدة لم يكن للعرب عهد بهال من قبل، منها علوم اللغة التي اتسمت بالشمول لكل جوانب الدرس اللغوي المعروفة: الأصوات، والصرف، والنحو، والمعجم».[1] فالقرآن الكريم وما يتصف به من إعجاز كان سببا في ولادة علوم اللغة وانتعاشها

1 – غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2007م 1428هـ، ص 07.

2- تعريف النص

أ- لغة:

إن لفظة (نص) من الفعل (نصص)، وقد عرفه (ابن منظور) (711هـ) في معجمه (لسان العرب) بقوله: «نصص: النص: رفعك الشيء. نص الحديث ينصه نصا: رفعه. وكل ما أظهر فقد نص. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنص للحديث من الأزهري، أي أرفع له وأسند. يقال: نص الحديث إلى فلان أي رفعه وكذلك نصصته إليه. ونصت الظبية جيدها: رفعته. ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور. والمنصة: ما تظهر عليه العروس لترى، وقد نصها وانتصت هي والماشطة تنص العروس فتقعدها على المنصة، وهي تنتص عليها لترى من بين النساء.

وفي حديث عبد الله بن زمعة: أنه تزوج بنت السائب فلما نصت لتهدى إليها طلقها، أي اقعدت على المنصة وهي بالكسر سرير العروس، وقيل: هي بفتح الميم الحجلة عليها من قولهم نصصت المتاع إذا جعلت بعضه على بعض، وكل شيء أظهرته فقد نصصته. والمنصة: الثياب المرفعة، والفرش الموطأة. ونص المتاع نصا: جعله بعضه على بعض. ونص الدابة ينصها نصا: رفعها في السير. والنص والنصيص: السير الشديد والحث ولهذا قيل: نصصت الشيء رفعته ومنه منصة العروس، وأصل النص أقصى الشيء وغايته، ثم سمي به ضرب من السير سريع، ابن الأعرابي: النص الإسناد إلى الرئيس الأكبر والنص التوقيف والنص التعيين على شيء ما ونص الأمر شدته...ونص الرجل نصا إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده».[1]

1 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج 14، حرف النون، مادة نصص، 2003، ص 271.

نلاحظ من التعاريف أنها تشترك في معاني الرفع والظهور.

ب-اصطلاحا

تعددت مفاهيم النص في التراث بتعدد التوجهات المعرفية، وهذا عند كل من البلاغيين والنحويين والمفسرين وغيرهم، فالاختلاف حول تعريفه يكمن بالدرجة الأولى في التصور ومنهج الدراسة والهدف منها و«يعد تعريف النص مبحثا صعبا في التراث اللساني العربي نظرا لأن التراث واسع ومتنوع جدا تحتاج عملية البحث فيه إلى الكفاية من الوقت والجهد والحنكة المنهجية والعدة الإجرائية، وذلك لتعدد المنطلقات الفكرية والمعرفية والمداخل الخاصة بدراسته ودراسة النص فيه»[1]. حيث لم يتم تداول لفظة (نص) في الدراسات التراثية المتعلقة به مثل ما هي الحال الآن والتي تصطلح (بلسانيات النص) أو (نحو النص) أو (علم لغة النص)، وإنما كانت هناك مفاهيم متعددة بمسميات مختلفة تندرج في إطار لفظة (نص).

فسيبويه (ت180هـ) مثلا لم يستخدم «مصطلح "جملة" وإنما استخدم مصطلح الكلام في الكتاب وكذلك لم يستخدم العرب مصطلح نص بالمعنى الأدبي المعروف وإنما كانوا يستخدمون مصطلحات مثل الكلمة والقطعة والقصيدة، بل إن عبد القاهر الجرجاني لم يستخدم مصطلح نص وإنما كان ستخدم "لفظة شعر"»[2].

ومع ذلك يمكن أن نبحث عن مفهوم النص في التراث العربي القديم من خلال مفهوم البيان، ويعد من المفاهيم الأساسية في النظرية اللغوية العربية، ويتعلق البيان

1- بشير إبرير، مفهوم النص في التراث اللساني، مجلة جامعة دمشق، مج 23، ع 1، ص 84.

2 - يوسف سليمان عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، ص 193.

بالنصوص الدينية، لما لها من دور بارز في إيصال المضامين التي تحويها عبر مختلف المراحل التاريخية المتتالية إلى الأجيال المتعاقبة «ولابد من الإشارة – ههنا- إلى أن البحث في مفهوم البيان يعد من الأعمال الأساسية التي أسهمت في نقل الثقافة العربية الإسلامية من نطاق المشافهة والرواية إلى نطاق الكتابة والدراية. فقد ارتبط ذلك بمشروع تأصيل المعارف العربية الإسلامية وتوثيقها، ولا يكون هذا إلا من خلال النصوص».[1] التي تعد بمثابة الحاملة للقيم الحضارية الإسلامية، والتي تتجسد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وحتى لا تضيع عن طريق المشافهة كان لا بد من كتابتها.

كذلك يعد 'الجاحظ' (ت 225هـ) من علماء العرب القدامى ومن جهابذتهم، لما يتمتع به من نظرة ثاقبة وتحليل في غاية الدقة لمختلف الأمور التي تطرق إليها، إذ «يعد مفهوم البيان عند الجاحظ متطور جدا من الناحية النظرية ولعله يلتقي بمفهوم النص من الواجهة الدلالية فكلاهما يدل على الظهور».[2] فالجاحظ لم يستعمل لفظ نص، وإنما وظف ما يتفق معه في معنى الظهور وهو لفظ البيان.

في حين نجد أن 'عبد القادر الجرجاني' (ت471هـ) وظف لفظ النظم، فمفهوم النص عنده من مفهوم النظم، حيث تمكن من أن يلج إلى أعماق الظاهرة اللغوية النصية وذلك بتحللها إلى مختلف أجزائها، وانطلق «من أغراض المتكلم وأحوال الخطاب وما يترتب على ذلك من كلام يتميز بخواص تركيبية وموضعية –بالنسبة للألفاظ- تتلاءم مع المقامات التي يقال فيها، فنفذ إلى صميم الظاهرة النصية من خلال نظرية النظم وهو

1- يوسف سليمان عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، ص 93.

2- بشير إبرير، مفهوم النص ف التراث اللساني العربي، ص 108.

توخي معاني النحو وأحكامه وفروقه وجوهه والعمل بقوانينه وأصوله».[1] ويلتقي مفهوم النظم عند الجرجاني بمفهوم النص؛ لأنهما يركزان على الروابط النحوية التي يجب أن تكون بين العناصر اللغوية، والدلالة العامة التي تتمخض عنها وفقا للمقام الذي ترد فيه مع مراعاة مقاصد المتكلم.

لم يستعمل النحاة العرب القدامى والبلاغيين والأئمة المسلمين مصطلح (نص) لأنهم كانوا يعتبرونه متجسدا في البيان والنظم وغيرهما، وكانوا على دراية بأهمية دراسة النصوص خاصة فيما يتعلق بالروابط الشكلية والدلالية، والخواص التي تتميز بها لكي تعتبر بحق نصوصا تستحق الدراسة.

3- ملامح لسانيات النص في التراث

لم يعرف مصطلح (علم لغة النص) أو (لسانيات النص)أو (نحو النص) في الدراسات اللغوية العربية القديمة، ولكن كانت هناك إنجازات عديدة وأعمال قيمة تشترك مع ما وصل إليه المحدثون الغربيون من أفكار في هذا الشأن، نجد على سبيل المثال أن 'سيبويه' «علم أن للجملة حدا واستقلالية، ولكنه أيضا كان يدرك أن الجملة جزء من سياق كلامي موصول، ويؤيد هذا الرأي أن سيبويه كان في تحليله يتجاوز النظرة إلى الجملة وحدها»[2]. حيث كانت نظرته أوسع أفقا وأكثر اتساعا وشمولا، ورأى أن للجملة علاقات مع ما يحيط بها، «وكان يمد بصره إلى ما حولها من عناصر السياق بأنواعه المختلفة: المقامي والمقالي والثقافي والتاريخي والنفسي. وهذا السلوك ينفي عن النحو العربي وعن سيبويه تحديدا تهمة اتخاذ الكلمة المفردة. أو الجانب الشكلي للجملة

1- بشير إبرير، مفهوم النص ف التراث اللساني العربي، ص 108.

2- يوسف سليمان عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، ص 185.

وحده أساس التحليل النحوي في كتابه. وإنما كان سيبويه يستشعر ضرورة أن يكون الخطاب وحدة للتحليل، وهذا ما جعله مهتما كثيرا بالمتحدث وظروفه النفسية والاجتماعية في أثناء تحليله لما تناوله من نصوص»[1]. وكمثال عما تناوله 'سيبويه' ويرتبط مع ما جاء في هذا التوجه المنهجي والمعرفي الجديد أي (نحو النص)، علاقة الإسناد التي تعتبر أساس الارتباط في أي تركيب نحوي «وقد تناول سيبويه هذه العلاقة في أثناء حديثه عن العلاقة بين المسند والمسند إليه في مواضع مختلفة من الكتاب»[2]. وهذه العلاقة تعكس مفهوم التضام الذي تطرق إليه اللغويون المحدثون وهو يعبر عن العلاقة التي تربط بين عناصر ظاهر النص؛ أي التي تربط بين العناصر الخارجية التي تتجسد في الألفاظ. كذلك تحدث عن الانسجام الذي يعد واحدا من أبرز المعايير وأهمها، وقد جاء حديثه عنه في مواضع مختلفة من كتابه منها «الباب الثاني الذي يمكن أن نلتمس فيه علم سيبويه بأهمية معيار الانسجام في النصوص وهو "باب الاستقامة من الكلام والإحالة" إذ أورد سيبويه عددا من النصوص وقام بتحليلها في هذا الباب».[3] إذ يبين فيه أهمية انسجام عناصر الجملة وتناسقها لتؤدي الغرض المنشود منها وبأحسن وجه.

هناك الكثير من ملامح الخطاب في دراسات اللغويين العرب القدامى، نجدها مثلا في كتاب سيبويه الذي لم يكن «كتابا خالصا في النحو بل اشتمل على كثير من العلوم اللغوية، ففيه تحليل للخطاب العربي تأسيس لقواعد كلام العرب، وفيه تناول موضوع القراءات، والتجويد، والأصوات، والنحو والبلاغة.

1- يوسف سليمان عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، ص 185.

2 -المرجع نفسه، ص 195.

3 -المرجع نفسه، ص 204.

ولقد درس سيبويه مفاهيم تخص دلالات الكلام مراعيا المقام، والسياق الذي يقال فيه هذا الكلام، ولقد تحدث عن مفهوم الكلام بطريقة تقترب مما قال به المعاصرون عن الخطاب الذي يستوجب مراعاة حال المستمعين واختيار اللفظ المناسب، وقنوات الاتصال والتواصل وكل ما من شأنه أن يساعد في عملية التخاطب، وقد مثل لنا سيبويه ذلك في باب ما يختار فيه الرفع وجائز فيه النصب»[1]. ويتجلى هذا الأمر أكثر في «باب حسن الاستقامة من الكلام والإحالة، لأن الاستقامة أن يكون التركيب خاضعا لما أجرته العرب في كلامها فيقسم الكلام إلى:

- مستقيم حسن: أتيتك أمس.
- المحال: أتيتك غدا.
- المستقيم الكذب: حملت الجبال.
- المستقيم القبيح: قد زيدا رأيت.
- المحال الكذب: سوف أشرب ماء البحر.

إن ما نلاحظه على هذا التقسيم أن الاستقامة تكون في أن يكون الكلام قائما على أساس التأليف والتركيب وبناء المعنى، وصدق ما ورد فيه، ولقد استخدم سيبويه مصطلح الجملة أوسع من الجملة ذاتها، وقطع مصطلح الكلام الذي يقترب بمفهوم الخطاب، كما نستنتج أن سيبويه يريد ضم مفهوم الكلام يضم بعض الكلمات بطريقة خاصة وصولا إلى المعاني النحوية، مع مراعاة السياق الكلامي دون الفصل بين المعاني النحوية والبلاغية، فهو إذن لا يعتني بالنحو فحسب أو يعزله أو يجعله مستقلا عن

1- عبد الحكيم اسحالية، الخطاب بين الدرس اللغوي العربي القديم واللسانيات، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، 2009، ع09، ص137.

الظاهرة الاجتماعية وأغراض المتكلم، ومقام السامع والوسائل الموصلة للكلام، بل يجعل كل ذلك كلا متكاملا متناسقا، مازجا بين الباث والمتلقي، من خلال القناة، والفهم والسياق»[1]. وهذا يبين أن مفهوم الكلام عند سيبويه قريب من مفهوم الخطاب عند المحدثين، وهو كل ما يمكن أن يعين في عملية التخاطب، وسيبويه لم يكتف بالدراسة النحوية، بل أضاف إليها الظروف الاجتماعية ومقاصد المتكلم، والمقام والسياق، وعلاقة المرسل بالمتلقي.

عرفت الكثير من النصوص اهتماما كبيرا عند اللغويين والمفسرين والنحويين والبلاغيين العرب القدامى وغيرهم، من بينها (النص القرآني) الذي حظي بدراسة معمقة على أيديهم؛ «لأن النص القرآني مقولة مركزية في بناء الحضارة حتى أن الحضارة العربية الإسلامية توصف بأنها حضارة النص. بمعنى أن القرآن الـــكريم يعد نصا محوريا فيها»[2].

فالقرآن الكريم أولى النصوص بأن تلقى الاهتمام والعناية، وأعلاها مترلة من حيث الدراسة والتحليل، ويعتبر الإمام الشافعي (ت 204هـــ) من الأئمة الذين كان لهم دور في استكشاف دلالات النص القرآني بحيث «تجاوز اهتمامه بالبحث عن البيان في وجهه البلاغي إلى الاهتمام بالمضامين التشريعية في الخطاب القرآني وبكيفية استخلاص هذه المضامين واستنباطها، وكان بذلك أول واضع لقوانين تفسير الخطاب البياني ومن ثم المشروع الأكبر للعقل العربي»[3]. وهذا الأمر يبين مدى تفطن 'الشافعي' للتفسير القرآني

1- عبد الحكيم اسحالية، الخطاب بين الدرس اللغوي العربي القديم واللسانيات، ص137-138.
2- بشير إبرير، مفهوم النص في التراث اللساني العربي، ص 93.
3- المرجع نفسه، ص 96.

ومدى اهتمامه بدلالات هذا النص المقدس وبمضامينه، واستشعاره بضرورة استنباط معانيه التير تجسدت في الآيات والصور.

كذلك نجد في الدراسات العربية القديمة مفاهيما تعكس معاني المعايير التي تطرقت لها الدراسات الحديثة، إذ «يجد الباحث عن الدراسات المتعلقة بالقصدية والتقبلية مادة وفيرة للبحث في مؤلفات الجاحظ، كالبيان والتبيين، والحيوان وغيرها، وفي الحق أن البيان العربي بأسره قد اتبع أسلوب الجاحظ، لفترة طويلة من الزمن، ذلك الأسلوب الذي يهتم بتشويق القارئ والانتقال به من موضوع إلى آخر خشية الإملال»[1].

فالجاحظ قد سلط الضوء على الكثير من القضايا اللغوية في كتبه المتعددة، وتحدث عن العديد من الأمور المتعلقة بها والتي تعرف في الدراسات الحديثة بمسميات أخرى، من ذلك مراعاة القارئ والاهتمام بتقبليته لما يقرأ، ولا يكون ذلك إلا من خلال قصدية الكاتب وكيفية انتقائه للوسائل التي يحقق بها ما يصبو إليه من أهداف وأغراض، والتي تنعكس في ردود أفعال القارئ.

كذلك نجد ملامح الخطاب في دراسة ابن جني حيث: «يرتبط مصطلح الخطاب بالقناة المؤدية له. وهي اللغة التي عرفها ابن جني (ت392هـ) على أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فنجد في هذا التعريف أربعة عناصر أساسية ترتبط بالخطاب المعاصر ومن صميم الدراسة اللسانية وتحليل أغراض الخطاب وأقسامه كما وردت عناصره الأربعة في هذا التوزيع:

- طبيعة اللغة حيث أنها أصوات.

1- روبرت ديبوغراند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، ص 20.

- وظيفتها فهي تعبير.
- إجتماعية ومرتبطة بالجماعة اللغوية.
- علاقة نفسية بين الفكر واللغة.

والملاحظ أن ابن جني قد قارب مصطلح الخطاب من خلال توضيحه لعلاقة اللفظ بالمعنى، وعلاقة اللفظ باللفظ وعلاقة الحروف ببعضها، وأفرد لها أبوابا في كتابة الخصائص وقد قدم جهدا بالغا في كيفية عناية النحاة بأساليب الكلام، وقد تحدث على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني، حيث أكد أن العرب تعتني بنظم ألفاظها وترتيبها، لأن ذلك هو طريقها لإظهار أغراضها، ومعانيها، وما الألفاظ إلا خدما للمعاني حتى يوصل المرسل خطابا مفهوما، وكما أراده في نفسه»[1]. فابن جني قد أكد أن العرب تعتني بالمعنى عنايتها باللفظ «فما هذه العناية بالألفاظ إلا ليكون الخطاب أقرب فهما وأكثر بيانا ، فهي عناية مقصودة ولم تكن اعتباطية، وإنما حتى تبين أغراض أصحابها وتوضح خطابهم وتوصل مراميهم وأهدافهم من الخطاب. ويرى ابن جني في باب الشجاعة العربية أن النظم وفق أساليب العرب يؤدي إلى خطاب مفهوم، ويرى أيضا أن اللغة العربية تقوم بالتقديم والتأخير والفصل والوصل، والحمل على المعنى وذكر أن العرب قد تلج إلى إفساد الإعراب من أجل المعنى وصحته، فابن جني يربط بين الإعراب والمعاني الوظيفية لأجزاء السياق الكلامي، ونفهم من خلال ما سبق أن الإعراب في خدمة الخطاب، والفهم والتواصل وما وظيفته إلا الإبانة عن مكنون كلام

1 – عبد الحكيم اسحالية، الخطاب بين الدرس اللغوي القديم واللسانيات، ص138.

العرب»[1]. وهذا يبين الصفات والمزايا التي تتمتع بها اللغة العربية والأفضال التي تنفرد بها عن سائر اللغات.

وهناك أيضا إسهامات أخرى قيمة في التراث العربي تلتقي مع الأفكار التي يقدمها المحدثون و«لعل أهم الدراسات المنهجية المتصلة بعلم لغة النص عند القدماء، هي التي نجدها لدى عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، ونقصد بها نظرية النظم التي تدور في أكثرها حول معيار التضام»[2]. فلم يكن 'الجرجاني' مهتما فقط بالكلمات المفردة ولم يكتف بدراستها وهي منعزلة، بل وجه اهتمامه كذلك إلى العلاقات التي تربط بينها؛ أي أنه لم يكن «مهتما بدراسة معاني الكلمات المفردة في ذاتها وإنما صرف اهتـــمامه إلى دراسة العلاقات المتصـــلة بالمفاهيم بين تلك الكلمـــات»[3]؛ لأن المعنى لا يتجلى إلا من خلال تضام المفردات فيما بينها، وتلاحم أجزاء التشكيلة اللغوية وتناسقها على نحو يقدم دلالة ما، والفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة: فقولهم (بالضم) لا يصح أن يراد به النطق باللفظة من غير اتصال يكون بين معنييها، لأنه لو جاز أن يكون لمجرد ضم اللفظ إلى اللفظ تأثير في الفصاحة لكان ينبغي إذا قيل "ضحك خرج" أن يحدث من ضم "خرج" إلى "ضحك" فصاحة، واذا بطل ذلك لم يبق الا ان يكون المعني في الكلمة في ضم الكلمة الى الكلمة توخي معنى من معاني النحو فيما بينهما»[4] فلا بد ان تكون نتيجة ضم كلمة الى كلمة

1 - المرجع نفسه، ص130-139.

2- روبرت ديبوغراند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، ص 17.

3- المرجع نفسه، ص 17.

4- المرجع نفسه، ص 18.

استخراج معنى، وهنا يظهر معنى الفصاحة شرط ان يكون توافق بين معنييها على نحو يحقق دلالة ما.

أما ملامح الخطاب عند الجرجاني فنكتشفها عن طريق نظرته للنحو، فقد «نظر الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) إلى النحو نظرة شاملة، فجعل العامل مرتبطا بالمعمول، ونظر إلى الكلام على أنه كلّ لا يتجزأ بل وظف النحو لخدمة العملية التواصلية وأكد على أن السياق الكلامي لا يتأتى إلا من خلال معرفة علامات الإعراب في التراكيب، وما هي إلا عوامل ليكون خطاب الباث مفهوما لدى المتلقين».[1]

فعلامات الإعراب في نظر الجرجاني تسهل عملية الفهم «ولقد انتقى الجرجاني في معنى النحو، وأعطاها الخاصية التواصلية، وفي هذا المعنى يؤكد عبد السلام المسدي على النهج الذي سلكه الجرجاني في تحديد الطاقة الاستيعابية للنحو ووضعه في المرتبة الأولى لا لشيء إلا لأنه يعبر عن مقاصد المتكلم، وأغراض الناطق والعملية التواصلية الخطابية».[2] فالجرجاني ربط النحو بالتواصل، والإعراب وسيلة لمعرفة أغراض المتكلم ومقاصده.

وهناك اتجاه آخر عني الدراسة النصية، وهو المهتم بالشعر، فقد كانت اتجاهات البحث اللغوي فيه «في صورة تقديم تفسير/شرح لعدد من القصائد لعيون الشعر العربي القديم، كتلك التي قدمها الزمخشري (ت 538هـ) وابن كيسان (ت 299هـ) للامية العرب "للشنفري"، وشرح معلقة طرفة برواية أبي بكر أحمد بن محمد الفضل بن الجراح لابن الانباري، وشرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)

1 – عبد الحكيم اسحالية، الخطاب بين الدرس، اللغوي العربي القديم واللسانيات، ص139.

2 –المرجع نفسه، ص138.

وشرح معلقة امرئ القيس لابن كيسان، وشرح معلقة عنترة برواية أبي بكر أحمد بن محمد الفضل الجراح لابن الأنباري، وشرح ديوان زهير بن أبي سلمى للإمام أبي العباس ثعلب(ت 291هـ)»[1]. فهذه الشروح تبرز أن القصائد العربية القديمة كانت تتصف بصفة النصية، من خلال توضيح معانيها الكلية.

فدلالة القصيدة من دلالة مجموع أبياتها المتلاحمة والمترابطة، حيث «نجد قدامى النقاد في إشادتهم بالشعر أو غيره (المتلاحم الاجزاء) استخدم كلمة (السبك)، كما أنهم في استخدامهم هذا كثيرا ما يذكرون -تلميحا حينا وصراحة أحيانا- صفة الاستمرارية أو الاطراد التي تميز الشعر أو غيره- على مستوى الجملة أو البيت غالبا المتلاحم الأجزاء»[2]. فاهتمام القدامى بالنص الشعري نابع من وعيهم بالدلالة التي تتحقق من وراء اتصافه بالمعايير التي تجسد فيه صفة النصية كالسبك مثلا، الذي يعتبر من أهم المعايير التي عرفت دراسة معمقة من قبل القدماء.

لقد كان النقاد العرب القدامى يمتزون بين جيد الثعر ورديئه، من بينهم 'الجاحظ' الذي يرى ان اجود الشعر هو الشعر المتلاحم الأجزاء، الذي يسهل مخرجه، فتوضع كل لفظة في المكان المناسب لها وتترابط وتتلاحم وفق نظام واحد.[3] بحيث تبدو العناصر اللغوية من وراء تلاحمها متناسقة ومتجانسة ومتلائمة مع بعضها البعض، دون ان تشكل صعوبة في نطقها إذ «يعد النسق التركيبي أساس تأليف النص أو الخطاب وهو القادر على ان يمد الخطاب بالعناصر اللغوية المرتبطة فيما بينها بعلاقات في تتابعات خطية

1- أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس اللغوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، ص 18.
2- جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 77.
3- ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 77.

وهرمية، مترابطة نحويا ودلاليا وفق ما يقتضيه الموقفان المقالي والمقامي اللغوي والاجتماعي»[1]. فالنسق يربط المكونات اللغوية بعضها ببعض مشكلة تركيبا نحويا ودلاليا ومراعيا في ذلك المقام الذي يرد فيه التركيب اللغوي والأحوال الاجتماعية.

كذلك ذكر النقاد الكثير من المفردات التي لها علاقة بالدراسة النصية الحالية، كان لهم فيها شروحات، وعبروا عن أراءهم النقدية، من بين هذه المفردات (السبك) الذي ينقسم إلى (سبك معجمي) و(سبك نحوي)،كما هو معروف في الدراسات الحالية، فاذا اخذنا السبك المعجمي كمثال فهو يتحقق بين الالفاظ عبر ظاهرتين لغويتين هما: (التكرار) و(المصاحبة المعجمية)، فالتكرار هو اعادة اللفظ الواحد أو المعنى الواحد بالعدد او النوع في النص إما مرتين أو أكثر «اذن فالتكرار قد يكون في اللفظ والمعنى معا وهو (التكرير الفظي) ويعتبر اللسانيات النصية (اعادة العنصر المعجمي نفسه) ومن شواهده في البلاغة العربية قوله تعالى :(والسابقون السابقون أولئك المقربون*) [2]فقد تكررت لفظة السابقون في هاتين الآيتين معناها «فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا»[3]،فالتكرار واحد من الظواهر اللغوية التي يتحقق بها السبك المعجمي، أما «الظاهرة اللغوية الثانية التي تسهم في تحقيق السبك المعجمي هي: المصاحبة المعجمية»[4]. وتظهر في علم البديع من خلال فن المطابقة مثلا، ففي علم البديع فنون تقوم على ظاهرة

1- يوسف سليمان عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، ص 194-195.

* سورة الواقعة، الآيتان 10-11.

2- جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 84.

3- ابن كثير، تفسير ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1999م/1420ه، ط2، ص 517.

4- جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 107.

المصاحبة المعجمية من بينها فن المطابقة او الطباق؛ ويعني علاقة الاختلاف بين لفظتين وتباينهما.

4- القصدية

عرفت الدراسات العربية القديمة معيار القصدية وتطرقت إليه، وبمفاهيم متعددة تعكس معناه، ومن بين الدارسين القدامى نجد 'سيبويه' إذ «يمكن أن لتمس استشعاره للمقصدية من خلال تكرار ذكره للمتكلم ونيته، وقد أكد ذلك من خلال عدد من المسائل والمفاهيم المتصلة بالإعراب، ومنها مراعاة قصد المتكلم، إذ كثيرا ما كان يقول: لعلم المتكلم به. وكأنه يقرأ ما بداخل المتكلم في ضوء ما يظهر من كلامه. وهذا يعني أن سيبويه كان يربط بين نية المتكلم والمعاني التي في نفسه»[1]. فالمعاني التي في النفس هي قصد المتكلم وغرضه التي تتجسد فيما يصدره من كلام، وقد أكد النحاة القدامى على مبدأ الغرض (أو القصد) «ويراد به في تصور نحاتنا القدامى، الغاية التواصلية التي يريد المتكلم تحقيقها من الخطاب وقصده منه. وعليه تكون مراعاة الغرض من الكلام في عرف أغلب النحاة، قرينة تساعد في تحديد الوظيفة النحوية للكلمة وبيان دورها في التحليل النحوي للجملة...وهي المعاني التي تعارف عليها المعاصرون باسم القصدية. وقد وجدنا إصرار من بعض النحاة على هذا المبدأ التداولي».[2] لهذا ركز سيبويه على ضرورة انتقاء الألفاظ المناسبة والتراكيب الملائمة ليتضح المعنى عند المتلقي يقول: ولا يجوز أن تقول بعت داري ذراعا وأنت تريد بدرهم، فيرى المخاطب أن الدار كلها ذراع. ولا يجوز أن

1- يوسف سليمان عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، ص 206.

2- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطبعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2005، ص 200-201.

تقول: بعت شائي شاة شاة وأنت تريد بدرهم، فيرى المخاطب أنك الأول فالأول على الولاء...ولا يجوز تصدقت بمالي درهما، فيرى المخاطب انك تصدقت بدرهم واحد».[1] فاختيار الألفاظ والتراكيب المناسبة تبعد عن المتلقي كل ما يعتقد خلاف المراد وتوهمه عكس غرض المتكلم من كلامه، لهذا اعتمد النحاة على مبدأ (مراعاة غرض المتكلم من كلامه) باعتباره عنصرا ضروريا لفهم مقاصده، «وقد وجدنا عبد القاهر الجرجاني يعتمده ويوظفه ويدافع عنه في فهم الجمل والتراكيب اللغوية ولاسيما آيات القران الكريم، بل وجدناه يوظفه أحيانا في بيان خطأ أولئك الذين يخطئون في فهم الخطاب بسب إهمال الغرض من الخطاب أو عدم الالتفات إليه»[2].حيث اشترط 'الجرجاني' معرفة قصد المتكلم وغرضه الذي يرمي إيصاله لغيره.

فعلى النحوي أثناء تحليله للنص اللغوي، أن يفهم القصد منه، ومعرفة غرض المتكلم، «وبناء عليه يذهب "عبد القاهر" إلى أن تقديم اسم الله تعالى في أسلوب النفي في الآية الكريمة [...إنما يخشى الله من عباده العلماء...] (فاطر،28). كان لغرض بيان الخاشين من هم، ويخبر بأنهم العلماء دون غيرهم، ولو أخر ذكر اسم الله وقدم العلماء فقيل: (إنما يخشى العلماء الله) لصار المعنى على ضد ما هو عليه الآن، ولصار الغرض بيان المخشي من هو والإخبار بأنه الله تعالى دون غيره، ولم يجب حينئذ أن تكون الخشية من الله تعالى مقصورة على العلماء وأن يكونوا مخصوصين بها، كما هو الغرض في الآية»[3] لهذا يجب على النحوي أن لا يكتفي ببيان دور الحركات الإعرابية والوقوف عند الإعراب بل يتجاوزه إلى ما هو أوسع منه بمعرفة واستكشاف قصد المتكلم من كلامه أو

1- نقلا عن: يوسف سليمان عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، ص 207.

2- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 201.

3- نقلا عن: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 203.

قصد المولى عز وجل من آيات القران الكريم وسوره؛ لأن اللغة في منظور القدماء ليست مجرد تراكيب خالية من الأغراض والمقاصـــد بل هي «لفظ "معين" يؤديه "متكلم معين" في "سياق ومقام معين" وموجه إلى "المخاطب معين" لأداء "غرض تواصلي معين" وليست مجرد منظومة من القواعد الذهنية المجردة»[1].

نجد ملامح القصدية كذلك في دراسات تراثية قديمة، وعند علماء كثيرين منهم «إبراهيم الشيرازي (ت 476 هـــ) ويعد من الأصوليين، كان قد ذكر كلاما ينبئ عن تصور يؤسس لفكرة تداولية صريحة تعتمد هذا المعيار وحده... وفحوى هذا المعيار عنده ما عرف به الكلام».[2] فهو يوضح معنى القصدية من خلال تعريفه الكلام يقول عنه: «يصير خبرا إذا انضم إلى اللفظ قصد المتكلم الإخبار به»[3]. 'فالشيرازي' يربط نوع الكلام بقصد المتكلم «فقد رأى الشيرازي أن مما يمكن أن يكون رائزا للتميز بين الخبر والإنشاء، إضافة إلى اللفظ الدال بالوضع على الخبر، قصد المتكلم وغرضه من الخطاب، فإن كان غرضه "الإخبار" مع موافقة اللفظ إياه فهو "خبر" وإن كان غرضه غير الإخبار فالكلام "إنشاء"»[4]. فالإخبار والإنشاء هما الغرضان اللذان يريد المخاطب تحقيقه من خطابه، وغرض المتكلم هو الذي يصبغ الكلام بصبغة الخبر أو الإنشاء و«الجديد عنده أنه يذكر "القصد" بوصفها معيارا تمييزيا أساسيا يتكفل وحده بالحكم على خبرية الجملة

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 203.
2- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية)، ص78.
3- نقلا عن: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية)، ص78.
4- المرجع نفسه، ص78.

أو إنشائيتها»[1]. فوجود القصد في الخطاب ضروري في تبيين ما إذا كانت الجملة خبرية أو إنشائية.

وأكثر النصوص التي لاقت شروحا ودراسة لمعرفة مقاصدها، هي النصوص القرآنية ، حيث أحيطت من كل الجوانب: النحوية والبلاغية والتفسيرية وغيرها، حتى لا تشوب نتائج الدراسة أي غموض وتكون واضحة من يريد معرفة قصد المولى عز وجل من الخطاب القرآني، وهذا ما يعبر عن مفهوم القصدية كما هي معرفة في الدراسات الحديثة، و«لم يشر الباحثون في الإعجاز القرآني إلى هذا المعيار إشارة مباشرة، ومن ثم لم يرد له تعريف يحدد جوانبه وخصائصه، غير أن الذي بقي واضحا أن عمل الباحثون في الإعجاز، إنما هو قائم على تقديم تفسير أرحب لجوانب من النص القرآني. وهو عمل يعتمد على كشف/شرح وتفسير لمقاصد الحكم في كتابه، وبالتالي فإن عملهم إنما ركز على توضيح قصد المولى تعالى».[2] ، فملامح معيار القصدية موجودة في التراث اللغوي العربي، حيث حظيت بدراسة الباحثين العرب القدامى المهتمين بالنصوص القرآنية وغيرها.

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية)، ص78-79.

2- أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، ص 157.

الفصل الثالث

دراسة تطبيقة من القرآن الكريم
الآية 44 من سورة هود انموذجا

تمهيد

تفسير الآية

قصدية الآية في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة

قصدية الآية في ضوء الدراسات العربية القديمة

1- تمهيد

يعد النص القرآني عماد الحضارة الإسلامية ومؤسسها يحمل المضامين الدينية التي يحتاجها المسلمون في حياتهم الدينية والدنيوية وهو خطاب رباني «فيدخل في الخطاب الكلام والمتكلم وبيئة التنزيل وسياقه وأساليب التخاطب. والخطاب القرآني يتوجه إلى وعي المخاطب لتغيير شأنه وحاله والتأثير فيه وإقناعه بالمضمون الجديد والرسالة الجديدة ويمتازا لخطاب القرآني عن الخطاب البشري، لأنه خطاب رباني متعال يحمل وحيا وإعجازا وقدسية نص يتعبد به»[1].لهذا فهو أعظم النصوص وأكثرها استحقاقا للدراسة وكنموذج نأخذ الآية (44) من سورة هود وهي مكية قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

1- عبدالرحمن بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب، (نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم)، ص17.

2- تفسير الآية

« (44) فلما أغرقهم الله، ونجى نوحا ومن معه (وقيل يا أرض ابلعي ماءك) الذي خرج منك، والذي نزل إليك، أي: ابلعي الماء الذي على وجهك (ويا سماء أقلعي) فامتثلتا لأمر الله، فابتلعت الأرض ماءها، وأقلعت السماء، (وغيض الماء) أي نضب الماء من الأرض (وقضي الأمر) بهلاك المكذبين ونجاة المؤمنين.(واستوت) السفينة (على الجودي) أي: أرسلت على ذلك الجبل المعروف في أرض الموصل. (وقيل بعدا للقوم الظالمين) أي: اتبعوا بعد هلاكهم لعنة وبعدا وسحقا لايزال معهم»[1].

3- قصدية الآية في ضوء الدراسات اللسانية النصية الحديثة

في كتاب مدخل إلى علم لغة النص لروبرت ديبوغراند وآخرون، وفي سياق الحديث عن قصدية هذه الآية جاء ما يلي: يكاد يكون هذا النص هو النص العربي الوحيد الذي حظي بدراسة كبار علماء البلاغة في مختلف العصور ومنهم:

-عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) في كتابه دلائل الإعجاز.

- السكاكي (ت626هـ) في كتابه مفتاح علوم البلاغة.

- القزويني (ت739هـ) في كتابه الإيضاح.

- العلوي (ت749هـ) في كتابه الطراز.

- الألوسي (ت1270هـ) في كتابه روح المعاني.

1- عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،2003م / 1464هـ، ط1، ص358.

بل إن بعض المهتمين بهذا النص قد أفردوه بمصنفات خاصة»[1]، فاختيار هذه الدراسة الحديثة لهذه الآية لم يكن اعتباطا بل لكونها حظيت بدراسات تراثية عديدة لما لها من مترلة عند القدماء، و«اتفق العلماء على تقسيم الإعجاز في القرآن إلى مراتب بالرغم من أنه معجز بجميع آياته، واتفقوا على أن هذه الآية قد بلغت من مراتب الإعجاز اقاصيها»[2]، فسبب اهتمام القدماء بهذه الآية هو بلوغها أعلى مرتبة في الإعجاز القرآني، «وقد روى الأقدمون حوادث شتى تشير إلى ذلك منها...لما أرادت قريش معارضة القرآن عكف فصاؤحهم الذين تعاطوا ذلك على لباب البر وسلاف الخمر ولحوم الضأن والخلوة إلى أن بلغوا مجهودهم، فلما سمعوا قول الله عزّ وجل (الآية) يئسوا مما طمعوا فيه وعلموا أنه ليس بكلام مخلوق، وروي أيضا أن ابن المقفع وكان – كما في القاموس – فصيحا بليغا، بل قيل أنه أفصح أهل وقته ، رام أن يعارض القرآن فنظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا، فاجتاز يوما بصبي يقرؤها (الآية) في مكتب فرجع ومحا ما عمل وقال: أشهد أن هذا لا يعرض أبدا وما هو من كلام البشر. وذكر الألوسي أن الشيخ علاء الدين جمع في هذه الآية ما ظهر له من مزاياها فبلغ ذلك 150 مزية»[3] فهذه الآية قد أعجزت الكثرين من الإتيان بكلام يضاهي كلام الله عزّ وجل.

– تم تقسيم الآية إلى ستة أقسام من أجل تسهيل هذه الدراسة الحديثة، وهذه الأقسام هي: وقيل يا أرض ابلعي ماءك1 ويا سماء اقلعي2وغيض الماء 3وقضي الأمر 4 واستوت على الجودي5 وقيل بعدا للقوم الظالمين6. «وقبل البدء بمعالجة هذا النص...نذكر هنا بأن النصوص بوجه عام تختلف فيما بينها من حيث التنظيم الخاص بكل منها، ونلاحظ

1 – روبرت دبوغراند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، ص283.

2 – المرجع نفسه، ص283.

3– المرجع نفسه، ص283.

في هذا النص أن قواعد التنظيم الذاتي للنص وهي الجودة والفعالية والملائمة متحققة جميعا.

محك الجودة: تتوافر جودة النص نظرا لما يتمتع من يسر في المعالجة، ففي النص تقنيات عدة تعمل على تحقيق ذلك منها :

- الموازاة بين الجمل مثل: يا أرض ابلعي، ويا سماء اقلعي، ومثل : وغيض الماء، وقضي الأمر.
- التكرار: ففي النص لأنماط نحوية من مثل الموازاة أنفا ولأنماط صرفية تتمثل في صيغة المبني للمجهول مثل: قيل1 وقيل6 وكذلك تكرار لفظة "ماء" في 3 و1 وفي النص أيضا تكرار صوتي(جناس) في كلمتي ابلعي واقلعي .
- قصر المنطوقات: أن النص مؤلف من منطوقات قصيرة مما يتيح تخزينا نشطا قصير المدى في ذاكرة المستقبل.
- التعريف والتنكير: تتصف ماء في ماءك في1 بالتعريف لإضافتها إلى "الكاف" وكذلك يفترض التعريف الوارد في كلمة "الماء" في 3 إمكان تزويد المحتوى بسهولة من خلال فراغات المعرفة المثارة قبلا في 1.

أما التنكير المقود في النداء: "يا أرض" و"يا سماء" والذي تشير إليه علامة الضم فيقوم بوظيفتين أساسيتين أولاهما:

تقليص زمن اصدار الأمر إلى المكلفين بدلا من إطالته بقول "يا أيتها الأرض" و"يا أيتها السماء" مثلا، قبل إصدار الأمر وهو "بلعي واقلعي". وثانيهما : التصغير من مترلة المخاطبين .

ويعود تعريف الأمر في 4 لإشارته إلى اسم سابق هو "أمرنا" و"أمر الله" بالتعريف التالي لها وهو الظالمين 4.

- **الأشكال البديلة** : تعود الضمائر في "ابلعي ماءك" و"اقلعي" إلى أسماء بالغة القرب منها، ولذا نجدها تسهم في يسر المعالجة أما علاقة التأنيث وهي التاء في استوت فتساعد على التعرف على المسند إليه ويقصد به الفلك – السفينة – برغم ورود الفعل بعد فاصل كبير عن المسند إليه مما يسبب اشكالية مؤقتة في تفهم النص، غير أن المستقبل يحل هذه الإشكالية بخفض المترلة الخلفي.

وينضوي النص أيضا على اضمار في الفعل اقعلي وتحل اشكالية الاضمار هنا بالاعتماد على توسيع الاستثارة والاستنتاج في ضوء المعطيات السابقة في "يا أرض ابلعي ماءك" وقصة الطوفان في النص السابق، وكذلك من خلال معرفتنا القبلية بالعالم فالسماء ستقلع عن إنزال المطر كما يحدث في واقع التجربة البشرية.

ان التقنيات السابقة، وغيرها من وسائل التضام، تساعد جميعا في تفريغ ذهن المستقبل من مهام المعالجة النحوية، وتوجيه نشاطه الذهني صوب إدراك العلاقات والمفاهيم.

محك الفعالية: إن فعالية النص، أو شدة التأثر في المستقبل، فتمثل في عمق المعالجة من خلال المنطوقات ذات الإشكالية المرتفعة من مثل فجوات المبني للمجهول في قبل 1وقيل2 وقضى4. وارتفاع المترلة الإعلامية في الأمر 4، وفي البحث عن الفاعل في استوت 5. ويتم خفض المترلة الإعلامية في الحالتين الأخيرتين من خلال النصوصية.

محك الملاءمة: أما المحك الثالث في قواعد التنظيم وهو الملائمة فسترى أنه متحقق أيضا لأن النص متضام ومتقارن ومتوجه ضمن خطة إلى هدف محدد على النحو الذي تتصف به النصوص القرآنية».[1]

نلاحظ من هذه الدراسة الحديثة أن أول خطة تتخذها في تحليل النصوص هي التأكد من اتصافها بثلاث صفات وهي كما رأينا الجودة والملاءمة والملاءمة، ثم الذهاب إلى الخطوة الموالية وهي دراسة النصوص من خلال معايير نصية سبعة، والمعيار الذي سنركز عليه بطبيعة الحال لهذا البحث هو معيار القصدية* «ان الهدف الاساسي للنص هو ابلاغ الرسالة الى جمهور المستقبلين (من قريش وغيرها)، وهو يتخذ شكلا قصيا مبنيا في ظاهره على رصد موقف، أما الهدف النهائي له فهو تهديد الكافرين.

وفضلا عن ما يتصل به النص من تضام وتقارن نجد أن مبادئ 'غرايس'* متحققة فيه فالعبارات التي يشتمل عليها بالغة القصر والوضوح مع توفر الاعلامية ووثاقة الصلة بالهدف المقصود»*، وقبل استكمال تحليل قصدية النص القرآني (الآية) لابأس من ذكر المبادئ التي جاء بها 'غرايس' .وهي تسعة مبادئ، إذ «قام بول غرايس بإعداد مدخل أعم، عرض فيه طائفة من "مبادئ السلوك" التي يتبعها منتجو النص، في العادة، في أثناء المحادثة

1-ينص مبدأ التعاون على ما يلي "يكن اسهامك في المحادثة، وهنا بما تقتضيه الغاية المقبولة أو الاتجاهات المقبولة في تبادل الحديث الذي تشارك فيه".

1- روبرت دبوغراند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، ص283- 285.

*- مزجت هذه الدراسة بين معياري قصدية والتقبلية في أثناء تحليلها للآية

*- يعتبر بول "غرايس" فيلسوف لغوي

2- روبرت دبوغراند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، ص291.

2-ينص مبدأ الكمية على ما يلي: "اجعل نصيب اسهامك من الإعلامية بقدر ما هو مطلوب دون أية زيادة".

3-يهتم مبدأ النوعية بالصدق وينص على ما يلي: "لا تقل شيئا تعتقد أنه خطأ، أو شيئا لست على بينة كافية منه".

4-أما مبدأ العلاقة فيمكننا اختصاره في جملة قصيرة واحدة: "ليكن حديثك ذا صلة".

5-يشتمل مبدأ الهيئة على عدة طرق لترتيب النصوص وتقدمها وقد أعيدت صيغة المبدأ وهي "كن واضحا" فأصبحت "لتكن" بحيث تجعل السبل ممهدة أمام ما تقصده من أقوالك.

6- ويشتمل مبدأ الهيئة أيضا على أمر آخر وهو "تجنب الغموض في التغيير".

7-وفي مبدأ الهيئة عنصر ثالث وهو "تجنب الإبهام".

8- وفي مبدأ الهيئة عنصر رابع وهو "أوجز"

9-أما العنصر الأخير من مبدأ الهيئة فهو "كن مرتبا" أي اعرض موادك بحسب الترتيب الذي يطلبه الأخرون»[1].

إن هذه المبادئ التي جاء بها 'غرايس' لابدا من توفرها في النص المدروس، وهي تعكس قصر العبارات ووضوحها، ووجود الاعلامية والهدف من النص.

1- روبرت دبوغراند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، ص160-166

بعد أن استعرضنا مبادئ 'غرايس' نكمل ما جاء في هذه الدراسة الحديثة وتحليلها لقصدية الآية، حيث ورد فيها في هذا العنصر «إن استعمال صيغة المبني للمجهول في "قيل" يمثل جزءا من الخطة حيث يقوم المستقبل نفسه بالمشاركة في تعبئة فجوة (الفاعل) وكذلك يمثل تصور تقبلية الكائنات العملاقة له من ارض وسماء جزءا من الخطة القائمة على تهديد قريش ويتضح ذلك في قصر الأوامر الموجهة اليها وتتبعها على نحو منطقي متسلسل وسريع يفيد تحققها الواحد تلوا الآخر، ويلحظ المرء في هذا النص استعمال الماء استعمالا خاصا ضمن الخطة، فالماء بالغ الأهمية للقريشيين الذين يعيشون في الحراء يمكن أن يكون وسيلة لهلاكهم إذا امتنعوا عن الاستجابة لدعوة الرسول إليهم وتعود تقبلية النص لدى المستقبلين إلى توافر معياري التضام ولتقارن فيه، بالرغم من وجود بعض الحالات الاشكالية من مثل البناء للمجهول في "قيل" حيث لا يصعب على مستقبل النص تعيين الفاعل وذلك باعتبار نوع النص (القرآن الكريم) واشتمال الآيات السابقة للنص وعلى اوامر الهية بعضها مبني للمجهول مثل (واوحي) (هود36) وان المخاطبين (الأرض والسماء) جمادان لا يتصوران قدر أحد غير الله على توجيه الاوامر إليهما.

وكذلك يسهل على مستقبل النص تعبئة الفراغ الذهني المتكون من الكلمة العامة "الامر" بالاعتماد على النص السابق لهذا النص وذلك باستبعاد المستقبل أن يكون إزاء التكرار بدون طائل لتعبير و"غيض الماء"، وهو يربط بدلا من ذلك بين عقدة "الأمر" هذه وبين عقدة "أمرنا" في النص السابق.

وكذلك يحتاج المستقبل للرجوع إلى النص السابق من أجل حل اشكالية التضام المتمثلة بوجود فجوة في "استوت" ونعني بها غياب المسند إليه، ويملأ المستقبل هذه الفجوة بالرجوع إلى الفلك والضمائر المتعلقة بها».[1]

ركزت هذه الدراسة على بعض المفردات الواردة في الآية الكريمة، مثل صيغة المبني للمجهول "قبل" والمغزى من استعمال كلمة "الماء" وقصد الأوامر الموجهة إلى الأرض والسماء والهدف من كل هذا كشف قصدية الآية.

4- قصدية الآية في ضوء الدراسات العربية القديمة

يعتمد التحليل الحديث على مبادئ وأمور معينة في الدراسة النصية «أما تحليل النص في العلوم العربية والإسلامية فقط داخل كل فروع المعرفة. فغلم النحو في مقاصده تحليل للنص في مرحلة أولى من مراحله لا تستقل بنفسها؛ وهو في هذه المرحلة نظر في العلاقات والروابط بين الكلمات، للوقوف على بنية الكلام ونظمه، ويستعين به الفقهاء وعلماء الدراية والمفسرون والنقاد لضبط دلالات النص ومقاصده».[2] ويعد الخطاب القرآني معجز بكل ما فيه، لا يضاهيه خطاب، لهذا «بدأ الانشغال بالإعجاز اللغوي للقرآن الكريم منذ وقت مبكر، وبشكل لافت للنظر».[3] وظهرت اتجاهات عديدة تعنى بهذا الخطاب الرباني، منها اتجاه البحث في الإعجاز القرآني، حيث «انشغل الباحثون في إعجاز القرآن الكريم بقضايا مختلفة شكلت جميعها أساسا للبحث فيه، وإن نال الإعجاز اللغوي والبلاغي حظا موفرا من الباحثين باعتباره مناط الإعجاز الحقيقي، حسب رأي

1- روبرت ديبوغراند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، ص 291-292.
2 - عبد الرحمان بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب (نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم)، ص 12.
3- أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، ص 14.

جمهور الباحثين فيه، وبالتالي جاءت المؤلفات في هذا الجانب كاشفة عما يمكن أن يمثل سبكا وحبكا للنص القـــرآني من جهة، وتضافـــر عناصره من جهة أخرى».[1]

وهذا يبين أن وجود عنصرا لسبك والحبك ضروريان في أي تحليل لمعرفة قصدية النص المدروس، وهذا ما عبر عنه عبد الرحمان بودرع بقوله: «ومن مظاهر الانسجام أيضا حسن النسق: وهو أن يأتي المتكلم بكلمات متتاليات معطوفات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا، بحيث إذا افردت كل جملة منه قامت بنفسها واستقل معناها بلفظها ومن أجمل ما ذكره أهل البلاغة والتفسير وعلوم القرآن في ذلك الآية الرابعة والأربعون من صورة هود، لنلحظ أن جمل الآية معطوف بعضها على بعض بواو النسق، على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة من الابتداء من الأهم الذي هو انحسار الماء عن الأرض المتوقف عليه غاية مطلوب أهل السفينة من الإطلاق من سجنها، ثم انقطاع ماء السماء المتوقف عليه تمام ذلك من دفع أذاه بعد الخروج ومنع إخلاف ما كان بالأرض، ثم الإخبار بذهاب الماء بعد انقطاع المادتين الذي هو متأخر عنه قطعا، ثم قضاء الأمر الذي هو هلاك من قدر هلاكه ونجاة ما سبق نجاته، وأخر عما قبله؛ لأن علم ذلك لأهل السفينة بعد خروجهم موقوف على ما تقدم، ثم أخبر باستواء السفينة واستقرارها المفيد ذهاب الخوف وحصول الأمن من الاضطراب، ثم ختم بالدعاء على الظالمين لإفادة أن الغرق وإن عم الأرض فلم يشمل إلا من استحق العذاب لظلمه».[2] فهذه الآية تعكس مظهر من مظاهر الانسجام وهو حسن النسق، وهي كما رأينا جملها متتالية معطوفة وإفراد كل واحدة منها يعطيها معناها المستقل بها، وهذا ما يعبر عن شكل من أشكال

1 – أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، ص 19.

2– عبد الرحمان بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب (نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم)، ص 44.

الإعجاز القرآني، ومن الباحثين القدامى المهتمين بالإعجاز في القرآن الكريم، نجد 'عبد القاهر الجرجاني' (ت 471هـ) في كتابه (دلائل الإعجاز)، حيث تطرق إلى تحليل هذه الآية، وسبق أن بين عبد القادر الجرجاني مزية ألفاظ آية ...في ارتباط بعضها ببعض وائتلافها فيما بينها، وبرهن على أنه لا يقع في وهم أن تتفاضل كلمتان مفردتان من غير أن ينظر إلى موقعهما من التأليف والنظم، ولا تجد أحدا يقول: هذه اللفظة الفصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعنى جارتها، وفضل مؤانستها لأخواتها. ولا يقولون: لفظة متمكنة ومقبولة -أو قلقة ونابية ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم. ولا يشك الناظر في قوله تعالى:﴿**وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾. أن ما وجده من المزية الظاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض. وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن يستقر بها إلى آخرها»[1]، فجمال الانسجام عند عبد القاهر وحسنه لا يكمن في ارتباط الألفاظ فيما بينها وائتلافها وتناسقها على نحو يجعلها تكتسب هذه المزية، ففي كتاب دلائل الإعجاز و« في تحقيق القول في (البلاغة) و(الفصاحة) و(البيان) و(البراعة) وكل ما شاكل ذلك- مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم.

1 - عبد الرحمان بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب (نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم)، ص 45.

ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها، مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة، وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين وآنق وأعجب وأحق بأن تستولي على هوى النفس، وتناول الحظ الأوفر من ميل القلوب، وأولى بأن تطلق لسان الحامد، وتطيل رغم الحاسد:= ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من جهة التي هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية. وإن كام هذه كذلك فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارا وأمرا ونهيا واستخبارا وتعجبا، وتؤديه في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة:= هل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة به، حتى يقال أن (رجلا) أدل على معناه من (فرس) على ما سمي به:= وحتى يتصور في الاسمين يوضعان لشيء واحدا أن يكون هذا أحسن نبأ عنه وأبين كشفا عن صورته من الآخر، فيكون (الليث) مثلا أدل على السبع المعلوم من (الأسد)= وحتى أنا لو أردنا الموازنة بين لغتين كالعربية والفارسية، ساغ لنا أن نجعل لفظة رجل أدل على الآدمي الذكر من نظيره في الفارسية؟.

وهل يقع في وهم وإن جهد، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان، من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية، وأن تكون حروف هذه أحق، وامتزاجهما أحسن، ومما يكد اللسان

أبعد؟»[1] فالجرجاني بهذا المعنى يركز على أهمية انتقاء اللفظة قبل ضمها في تركيب معين فالألفاظ المترادفة وذوات المعنى المتقارب ينبغي اختيار واحدة منها في تركيب معين، لأنها تكون أدل في معناها على بقية المترادفات، نظرا لكونها متلائمة مع جاراتها «وهل تجد أحدا يقول: (هذه اللفظة فصيحة) إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جارتها وفضل مؤانستها لأخواتها ؟ وهل قالوا: (لفظة متمكنة ومقبولة) وفي خلافه (قلقة، ونبية ومستكرهة) إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنبو عن سوء التلاءم، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقا للتالية في مودّها»[2]. فترتيب المعاني يسبق ترتيب الألفاظ الدالة عليها من أجل أن تتناسب وتتلاءم الألفاظ، فتوافق الألفاظ من توافق معانيها «وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى (الآية) سورة هود 44 فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا، إلى أن تستقر بها إلى آخرها وأن الفضل ناتج ما بينها وحصل من مجموعها ؟ إن شككت فتأمل: هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت. لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من لآية ؟

قل :(ابلعي) واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها وكذلك فاعتبر سائر ما يليها.

---

1 عبد القاهر جرجاني، دلائل الإعجاز، تع. محمود مجمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004، ط 5، ص 43-44.

2 المصدر نفسه، ص 45.

وكيف بالشك في ذلك، ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت ثم في إن كان النداء (بيا) دون (أيّ) نحو (يا أيتها الأرض)، ثم إضافة (الماء) إلى (الكاف)، دون أن يقال (ابلعي الماء)، ثم أن اتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها، ثم أن قيل: (وغيض الماء)، فجاء الفعل على صيغة (فُعِلَ) الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى (وقضي الأمر)، ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو (استوت على الجوديّ) ثم اضمار (السفينة) قبل الذكر، كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة (قيل) في الخاتمة (بقيل) في الفاتحة ؟ أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة، وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها= تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النطق ؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب ؟ حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وإن الفضيلة وخلافها، في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ»[1]، فتلاؤم الألفاظ في البناء اللغوي ناتج عن تلاءم معانيها، حيث لا تصدر تلك الألفاظ من منشئها بتلك الصورة قبل أن تتلاءم معانيها في النفس، وقد استشهد عبد القاهر ببعض الأبيات الشعرية يقول: «وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر، كلفظ (الأخدع) في بيت الحماسة:

تَلَفَتُّ نحو الحيّ حتى وجدتُني وَجِعتٌ من الإِصغاء لِيتًا وأخدَعَا

1 عبد القاهر جرجاني، دلائل الإعجاز، ص 46.

وبيت البحتري:

وإن بلَّغتني شَرَفَ الغِنى واَعتَقّت من رقِّ المَطَامِعِ اَخدعِي

فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن، ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام:

يا دهرُ قوِّم من أخدَعَيك، فقد أضججتَ هذا الأنام من خُرُقِك

فتجد لها من الثقل على النفس، ومن التنغيض والتكدير، أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة، ومن الإيناس والبهجة.

ومن أعجب ذلك لفظة (شيء) فإنك تراها مقبولة حسنة في موضع، وضعيفة مستكرهة في موضع، وإن أردت أن تعرف ذلك فانظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

ومن مالءٍ عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيضُ كالدُّمى

وقول أبي حيّة:

اذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ تقاضاه شيءٌ لا يملُّ التقاضيا

فإنك تعرف حسنها ومكانها من القبول، ثم انظر إليها في بيت المتنبي:

لَوِ الفَلَكُ الدَّوَّارُ ابغضْتَ سعيه لعوّقه شيء عن الدّوران

فإنك تراها تقلّ وتضؤل، بحسب نبلها وحسنها فيما تقدم»[1]. فحسن اللفظة تكمن في الموضع الذي تجيئ فيه في البيت الشعري أو أي نص آخر، فإذا كان المكان الذي

1- عبد القاهر جرجاني، دلائل الإعجاز، ص 46-47-48.

تأخذه مناسبا لها جاءت حسنة مقبولة، وإن لم يلاءمها ذلك المكان كانت مستكرهة نابية «وهذا باب واسع، فإنك تخدمه متى شئت الرجلين قد استعملا كلما بأعيانها، ثم ترى هذا قد فرغ السماك، وترى ذاك قد لصق بالحضيض، فلو كانت الكلمة إذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ، وإذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم، كما اختلف بها الحال، ولكانت إما أن تحسن أبدا، أو لا تحسن أبدا.

ولم تر قولا يضطرب على قائله حتى لا يدري كيف يعبر، وكيف يورد ويصدر كهذا القول. بل إن أردت الحق فإنه من جنس الشيء يجري به الرجل لسانه ويطلقه فإذا فتش نفسه. وجده تعلم بطلانه وتنطوي على خلافه، ذاك لأنه مما لا يقوم بالحقيقة في اعتقاد، ولا يكون له صورة في فؤاده»[1]. فجمال الألفاظ يبرز من خلال تلاحمها مع ألفاظ أخرى وملاءمتها لمعانيها، وإلا لكان قد ظهر حسنها وهي منفردة، ولا يكون هذا إلا من خلال النظم الذي تطرق إليه 'عبد القادر الجرجاني' ليس هذا فحسب، بل إنها (الألفاظ) لا تؤدي الغرض الذي وضعت من أجله إلا إذا انضمت مع أخريات، «إن بنية الخطاب عند الجرجاني هي التي تساعد على فهم محتوى الخطاب من خلال النظم، والتركيب المحكم للألفاظ التي تكون خادمة للمعاني، فحسن التأليف وتوخي المعاني النحوية وإحكام النحو هي التي تجعل الفهم أسهل، وأكثر نفوذا، وعملية التواصل دائمة ومستمرة».[2] والمعنى لا يتضح إلا إذا كان مرتبطا مع قصد المتكلم «وفي تحديد للوظيفة الإبلاغية نجد الجرجاني كذلك عنى بالعلاقة الإسنادية، فدلالة الخطاب أثناء العملية راجعة

1- عبد القاهر جرجاني، دلائل الإعجاز، ص 48.

2- عبد الحكيم اسحالية، الخطاب بين الدرس اللبغوي العربي القديم واللسانيات، ص 140.

إلى عامل خارج عن اللغة، هو قصد المتكلم أو الباث من إعلام السامع بخطابه، فالحمولة الدلالية للخطاب تتوقف على قصد المتكلم»[1]، و'الجرجاني' يركز على ضرورة أن يساير النحو غرض المتكلم من كلامه، «ومما يكشف في هذه التوجهات اللغوية أن عبد القادر الجرجاني انطلق من أساس اللغة، وهو النحو المنسجم مع مقصد التأليف الكلامي الذي يراعي عنده الدلالة والسياق الكلامي، وأقامه على النظم، وعلى المعاني، ويعني ذلك أن فهم عبارة ما لا يكون إلا بفهم أبعادها الدلالية، وموقفها الاتصالي الذي تتم فيه عبر الأصوات اللغوية، حيث ترتبط المكونات الخطابية أو ما يعرف باسم الأداء الكلامي لتؤلف خطابا مفهوما لدى المتلقين، فمدار المتلقين إذن هو أساس التفاعل بين التراكيب ولعل هذا ما جعل عبد القادر الجرجاني يرفض فصاحة اللفظ المفرد إذا لم تكن في مجموعة كلامية».[2] فنظم الكلام هو الذي يساعد على فهم المعاني ومعرفة أغراض منشئ النص ومقاصده؛ لأن «الألفاظ ما وضعت من أجل أن تطلق التسميات على الأشياء فقط، بل من أجل أداء وظيفة التواصل والإبلاغ أثناء تضام الكلمات بعضها ببعض».[3] فباكتمال التركيب أو البناء اللغوي مع مراعاة النحو في ذلك يكتمل المعنى ويتحقق قصد منشئ النص.

أما بالنسبة للبحث في تفسير (التفسيري) فقد «تشكلت الملامح الأساسية لهذا الاتجاه بالنسبة لتحليل النص القرآني في وقت مبكر»[4]، وبما أن القرآن الكريم في مجمله كلام بليغ وقصص وقراءات، فقد «تضمن الاتجاه التفسيري العام عددا من الاتجاهات

1- عبد الحكيم اسحالية، الخطاب بين الدرس اللبغوي العربي القديم واللسانيات، ص 140

2- المرجع نفسه، ص 141.

3- المرجع نفسه، ص 141.

4 - أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرن الكريم، ص 17.

التي تقع داخل دائرته بما شكل منها اتجاهات تفسيرية متباينة ... وحاصل القول أنها تعتمد زوايا متباينة منها: الاتجاه الذي يركز جاهدا على القصص القرآني، كتفسير ابن كثير، ومنها ما يعتمد الجانب البلاغي والنحوي كتفسير الكشاف للزمخشري، أما تفسير القرطبي والطبري، إنما يوضحان جوانب لغوية وقراءات قرآنية».[1]، وكمثال على الاتجاه الذي يعتمد على القصص نأخذ تفسير ابن كثير (ت 774هـ) حيث جاء في تفسير الآية 44 من سورة هود ما يلي:

«﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: يخبر تعالى أنه لما غرق أهل الأرض إلا أصحاب السفينة، أمر الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها، وأمر السماء أن تقلع عن المطر، (وغيض الماء) أي: شرع في النقص، (وقضي الأمر) أي: فرغ من أهل الأرض قاطبة ممن كفر بالله، لم يبق منهم ديّار، (واستوت) السفينة بمن فيها (على الجودي).

قال مجاهد: وهو جبل بالجزيرة، تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت، وتواضع هو لله عزوجل فلم يغرق، وأرسلت عليه سفينة نوح عليه السلام.

وقال قتادة: استوت عليه شهرا حتى نزلوا منها، قال قتادة: قد أبقى الله سفينة نوح عليه السلام، على الجودي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى رآها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة قد كانت بعدها فهلكت، وصارت رمادا.

وقال الضحاك: الجودي: جبل بالموصل: وقال بعضهم: هو الطور.

1 – أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرن الكريم، ص 17.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن رافع، حدثنا محمد بن عبيد، عن توبة بن سالم قال: رأيت زر بن حبيش يصلي في الزاوية حين يدخل من أبواب كندة على يمينك، فسألته إنك لكثير الصلاة هاهنا يوم الجمعة:! قال: بلغني أن سفينة نوح أرسلت من هاهنا.

وقال علباء بن أحمد، عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا، معهم أهلوهم، وإنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوما، وإن الله وجه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يوما، ثم وجهها الله إلى الجودي فاستقرت عليه فبعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الأرض، فذهب فوقع على الجيف فأبطأ عليه فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون، ولطخت رجليها بالطين، فعرف نوح عليه السلم أن الماء قد نضب فهبط إلى أسفل الجوديّ، فابتنى قرية وسماها ثمانين، فأصبحوا ذات يوم وقد تبللت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداها اللسان العربي، فكان بعضهم لا يفقه كلام بعض، وكان نوح عليه السلام يعبر عنهم.

وقال كعب الأحبار: إن السفينة طافت ما بين المشرق والمغرب قبل أن تستقر على الجوديّ.

وقال قتادة وغيره: ركبوا في عاشر شهر رجب فساروا مائة وخمسين واستقرت بهم على الجودي شهرا، وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من محرم، وقد ورد نحو هذا في حديث مرفوع رواه بن جرير، وأنهم صاموا يومهم ذاك، فالله أعلم.

وقال لإمام أحمد: حدثنا أبو جعفر- حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي عن أبيه حبيب بن عبد الله عن شبيل، عن أبي هريرة قال: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بأناس من

اليهود، وقد صاموا يوم عاشوراء، فقال: ما هذا الصوم ؟ قالوا: هذا اليوم الذي نجى الله موسى وبني اسرائيل من الغرق، وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجوديّ، فصامه نوح وموسى عليهما السلام، شكرا لله عزوجل. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا أحق بموسى، وأحق بصوم هذا اليوم). فصام وقال لأصحابه:(من كان أصبح منكم صائما فليتم صومه، ومن كان أصاب من غذاء أهله، فليتم بقية يومه).

وهذا حديث غريب من هذا الوجه. ولبعضه شاهد في الصحيح.

وقوله: (وقيل بعدا للقوم الظالمين) أي: هلاكا وخسارا لهم، وبعدا من رحمة الله فإنهم قد هلكوا عن آخرهم، فلم يبق لهم بقية.

وقد روي الإمام أبو جعفر بن جرير والحبر أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيريهما من حديث موسى بن يعقوب الزمعي، عن قائد- مولى عبيد الله بن أبي رافع- إن ابراهيم بن عبد الرحمان بن أبي ربيعة أخبره: أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لو رحم الله من قوم نوح أحدا لرحم أم الصبي)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان نوح عليه السلام، مكث في قومه ألف سنة [إلا خمسين عاما]، يعني وغرس مائة سنة الشجر، فعظمت وذهبت كل مذهب، ثم قطعها، ثم جعلها سفينة ويمرون عليه ويسخرون منه ويقولون: تعمل سفينة في البر، فكيف تجري؟ قال: سوف تعلمون: فلما فرغ ونبع الماء، وصار في السكك خشيت أم الصبي عليه وكانت تحبه حبا شديدا، فخرجت إلى الجبل، حتى بلغت ثلثه، فلما بلغها الماء [ارتفعت حتى بلغت ثلثيه، فلما بلغها الماء] خرجت به حتى استوت على الجبل، فلما بلغ رقبتها رفعته بيديها فغرقا فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي).

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وقد روي بن كعب الأحبار، ومجاهد بن حبر قصة هذا الصبي وأمه بنحو من هذا».[1]

إن تحليل النص القرآني قد ظهر في الدراسات اللغوية العربية القديمة، فتفسير ابن كثير، والذي يدخل ضمن الاتجاه التفسيري يعتمد على القصص القرآني.

1- ابن كثير، تفسير ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1999م/ 1420ه، ط2، ص 323-324-325.

خاتمة

إن اللسانيات النصية الحديثة وليست بالغربية عن علماء اللغة العرب القدامى، فقد عرف العرب هذا النوع من الدراسات ويمكن الفرق في ان العرب تناولوا علاقة التكامل الموجودة بين مختلف مناهج دراساتهم ومختلف العلوم، فلم يفصلوا بينها، كي تتجلى لهم مبادئ كل دراسة علمية على حدا، ودراستهم كانت تتميز بالعموم ، لا نهم كانوا على وعي بأن الكلمات تنظم في تراكيب، وان كل وحدة في علاقة مع غيرها من الوحدات الاخرى دون اهمال المعنى والسياق، ثم ظهر المنهج التوليدي التحويلي ليدارك ذلك فيهتكم بالمعنى والتراكيب، ثم يأتي المنهج التداولي فيجمع ما جاء به المنهجان السابقان فيهم بالمعنى وبسياق الكلام، وفصل المدرسة الغربية الحديثة لهذا المنهج جعل بحوثهم تهتم بالوضوح والدقة والذي لا نجده عند العرب القدامى. الذين يفصلوا في دراساتهم كل منهج على حدا وهذا ما جعلها تتصف بالغموض، وهذا ما جعلها غير واضحة للمتطلع فيها، لذلك سعى بعض العلماء العرب المحدثين جاهدين لتوضيحها وتسهيلها، ما يدل على ان اللغة العربية لا تزال حية وليست جامدة كما ادعى البعض، وانها تجدي نفعا من وراء دراستها وان العرب لا يملكون نظرته ولا منهجا، رغم ان دراساتهم تثبت العكس واقوى دليل على ذلك هو ان الدراسات الحديثة التي جرة تطرقت حول الدراسات اللغوية العربية تثبت أنه لا يخلو اي تحليل لأي مصدر في كتب التراث العربي من النظريات اللغوية التي ذهب اليها الغربيون

تعد الدراسات الغربية الحديثة دافعا قويا للدراسات العربية الحديثة الى الامام نتج عنه مجموعة من الباحثين العرب عملوا على بيان دلائل وجود الدرس النصي عند اللغويين العرب القدامى، واستطاعوا ان يجدوا لأنفسهم مكانا هاما في النشاط اللغوي، وهذا ما جعلهم يطورون البحث النصي.

إن الاساس الذي تنطلق منه الحركة اللغوية العربية الحديثة هو التراث العربي وذلك لإعادة وصف اللغة العربية وفق ما توصل اليه المغربيون من نظريات.

لم تشهد اللسانيات العربية حديثا تطورا كما شهدته اللسانيات الغربية، والذي كان نتيجته ظهور علم اللغة النصي، ويمكن أن يكون السبب في ذلك أن المحدثين العرب من الباحثين

لم يدركوا صفة العمومية التي شملت الدراسات اللغوية العربية القديمة، والبرهان على ذلك أن اللسانيين العرب المحدثين لم يستطيعوا التحرر عن التراث اللغوي القديم من حيث طريقة تناولهم لمختلف الظواهر اللغوية. ومن هنا نستنتج التالي:

1- إن التنقيب في التراث اللغوي يسمح لنا بمعرفة امتلاك العرب للنظرة الشمولية للغة ولدراستها النصية.

2- يعتبر التراث اللغوي العربي أساس كل دراسة لغوية عربية حديثة

3- إن خصائص اللغات تختلف بعضها عن بعض، ومن الأجدر عدم اسقاط الدراسة اللغوية الغربية على اللغة العربية؛ لأن هذه الأخيرة تختلف في ظروفها التاريخية عن اللغات الغربية.

4- لا يجب نكران فضل الدراسات الغربية وما أضافته من آراء جديدة لم يتطرق إليها القدماء ولا يجب إغفال الجهود المبذولة من طرف المحدثين العرب لمسايرة التطورات الحديثة في مجال اللسانيات وبالتحديد في علم اللغة النصي، راغبين في ذلك ابقاء اللغة العربية تنبض بالحياة.

5- يعتبر القرآن الكريم ميدانا خصبا للتطبيق لدى اللغويين العرب القدامى من أجل فهمه، حيث كانت تطبيقاتهم تعتمد على وصف النص بمجمله.

يتبين لنا في أول الأمر بعد دراسة ضابط القصدية من خلال علم اللغة النصي الحديث، والدراسات التراثية العربية أنهما يشتركان في النظر إلى النص كوحدة أساسية للتحليل، فالدراسات التراثية تعاملت مع النص القرآني ككل موحد لا جمل متناثرة، وهو الأساس الذي تقوم عليه لسانيات النص، ويمكن إيجاز النتائج المتوصل إليها من هذا البحث أن القصدية تعتبر معيارا من معايير النصية، وهي مازالت بحاجة إلى التنقيب عن جواهرها العلمية، ودراستها من خلال ربطها بالدراسات المعاصرة لمواكبة الحداثة والتطور العلمي.

ملحق

Analyse de discoure	**تحليل الخطاب**
Linguistique de texte	**لسانيات النص**
Grammaire de texte	**نحو النص**
Contexte	**السياق**
Référence	**الإحالة**
Référent	**المحال إليه – المرجع**
Signe	**العلامة – الإشارة**
Symbole	**الرمز**
Texte	**النص**
Textualité	**النصية**
Cohérence	**الانسجام**
Cohésion	**الاتساق**
Intentionnalité	**القصد**
Acceptabilité	**المقبولية**
Situationality	**الموقفية**
Informatinity	**الإخبارية**

Intertextuality	**التناص**
Embrayeur	**المبهمات**

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

1. ابن كثير، تفسير ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، 1999م/1420ه.

2. أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الأداب، القاهرة،2008.

3. جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ط1 ، 2015.

4. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ت.

5. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر ، ط2 2000.

6. روبرت ديبوغراند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص، مطبعة دار الكتاب، ط1 1992/ 1413.

7. طالب عبد الرحمن، دراسات حديثة في اللغة والنحو وأثر الترجمة في العربية، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء الجمهورية اليمنية،، ط1 2005/ 1426.

8. عبد الحمان بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب(نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم)، 2013م/1434هـ.

9. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تع. محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 5، 2004.

10. عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان تح: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1،2003م / 1464هـ.

11. غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط2، 2007م 1428هـ.

12. محمد العمري، البلاغة العربية(أصولها وامتدادها)، افريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1999.

13. محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي 1991، ط1.

14. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1 2005.

15. يوسف نور عوض، علم النفس ونظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1.

المصادر والمراجع المترجمة:

1. فولفجانغ هاينه من وديتر فيهجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية ط1419/1151999.

المجلات:

1. أم السعد حياة، حضور بعض مقولات لسانيات النص في السند النظري الباختيني مجلة الأثر، جامعة الجزائر2(الجزائر)، 2012، ع 13.

2. بشير إبرير، مفهوم النص في التراث اللساني، مجلة جامعة دمشق، مج 23، ع 1.

3. عبد الحكيم اسحالية، الخطاب بين الدرس اللغوي العربي القديم واللسانيات، مجلة حوليات التراث، كلية الأداب والفنون، جامعة مستغانم، (الجزائر)، 2009، ع 09.

4. محمد اسماعيل، التراكم العلماني، بين النص المكتوب والنص المنطوق، مجلة المعرفة سوريا 1994، ع، 370.

5. يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، الكويت 1889، مج20، ع3.

6. يوسف سليمان عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، 1432/2011،مج 7، ع1.

المعاجم:

ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط2، ج14، 2003.

الفهرس

المحتويات	الصفحة
الشكر	
الإهداء	
مقدمـــــــــــــــة	أ
توطئة.....	**05**
الفصل الأول: لسانيات النص	
تمهيد.....	09
مفهوم لسانيات النص.....	10
مفهـــوم النص	12
نشأة لسانيات النّص.....	14
أسباب ظهور لسانيات النص	16
دراسات في لسانيات النص	21
معايير لسانيات النص.....	23
القصديـــة	25
الفصل الثاني: لسانيات النص في التراث اللغوي العربي	
تمهيد.....	31
تعريف النص.....	32
ملامح لسانيات النص في التراث.....	35
القصدية	45
الفصل الثالث: دراسة تطبيقية من القرآن الكريم الآية **44** من سورة هود أنموذجا	
تمهيـــــــــــــــد.....	50
تفسير الآية	51
قصدية الآية في ضوء الدراسات اللسانية النصية الحديثة.....	51
قصدية الآية في ضوء الدراسات العربية القديمة.....	85
الخاتمـــــــــــــــة.....	71

الملاحـــــــــــق.....	75
قائمة المصادر والمراجع.....	79
فهرس الموضوعات.....	82